

شرح
خطبة رَسُو اللهِ ﷺ

في استقبال شهر الله



تأليف
العلامة السيد محمد علي الحسيني

شرح خطبة رسول الله
في استقبال شهر الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح خطبة رسول الله في استقبال شهر الله

تأليف

العلامة السيّد محمد علي الحسيني

دار الحكمة - لندن

المحتويات

9	المقدمة.....
11	سند و متن خطبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في استقبال شهر رمضان .
15	شرح خطبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في استقبال شهر الله
20	إنه أقبل إليكم شهر الله
25	بالبركة
33	والرَّحمة
38	.. المغفرة
	شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي
44	وساعاته أفضل الساعات
48	شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله
53	وجعلتم فيه من أهل كرامة الله
55	أنفاسكم فيه تسيح
61	ونومكم فيه عبادة
68	وعملكم فيه مقبول
74	ودعاؤكم فيه مستجاب
79	فاسألوا الله ربكم بنياتٍ صادقة وقلوب طاهرة
82	أن يوفقكم لصيامه
93	وتلاوة كتابه

- 96.....فإنَّ الشَّقِيَّ من حُرْمِ غفرانِ الله في هذا الشهر العظيم
- 98.....واذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم القيامة وعطشه
- 100.....وتصدَّقوا على فقرائكم ومساكينكم
- 107.....ووقِّروا كباركم
- 109.....وارحموا صغاركم
- 111.....وصلوا أرحامكم
- 114.....واحفظوا ألسنتكم
- 119.....وغضُّوا عمَّا لا يحل الاستماع إليه اسماعكم
- 127.....وتحنَّوا على ايتام الناس كما يتحنن على أيتامكم
- 130.....وتوبوا إلى الله من ذنوبكم
- وارفعوا إليه أيديكم بالدُّعاء في أوقات صلواتكم، فإنها أفضل الساعات،
ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده يجيبهم إذا نادوه ويليبهم إذا
ناجوه ويستجيب لهم إذا دعوه
- 136.....أيها الناس! إن أنفُسكم مرهونة بأعمالكم ففكُّوها باستغفاركم
- 141.....وظهوركم ثقيلة من أوزاركم
- 142.....فخففوا عنها بطول سجودكم
- واعلموا أن الله (تعالى ذكره) أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين
- 144.....والساجدين وان لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لربِّ العالمين
- أيُّها الناس من فطرَّ منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك
عند الله (عز وجل) عتق رقبه ومغفرة لما مضى من ذنوبه، فقبل له:
يا رسول الله ليس كلُّنا يقدر على ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:
- 146.....اتقوا النار ولو بشقِّ تمرَّة، اتقوا النار ولو بشربة من ماء
- أيُّها الناس! من حسنَ منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازاً على
الصراف يوم تزل فيه الأقدام
- 151.....

- 153.....ومن خَفَّفَ في هذا الشهر عما ملكت يمينه خَفَّفَ اللهُ عليه حسابَه
- 154.....ومن أكرم فيه يتيماً أكرمهُ اللهُ يوم يلقاه
- ومن وصل فيه رحمه وصلهُ اللهُ برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع اللهُ رحمته يوم يلقاه.....
- 156.....ومن تطوع فيه بصلاة كتب اللهُ له براءة من النار، ومن أدَّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدَّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور
- 163.....ومن أكثر فيه من الصلاة علي ثقل اللهُ ميزانه يوم تخف الموازين
- 164.....ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور
- 171.....أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مَفْتُوحَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يَغْلِقَهَا عَلَيْكُمْ وَأَبْوَابَ النَّارِ مَغْلُوقَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يَفْتَحَهَا عَلَيْكُمْ
- 173.....والشَّيَاطِينِ مَغْلُوقَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يَسْلُطَهَا عَلَيْكُمْ
- 176.....قال أمير المؤمنين عليه السلام فقامت فقلت: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله
- 181.....المصادر
- 185.....مختصر السيرة الذاتية
- 187.....

المقدمة

الحمد لله الذي اختار من الأشهر شهرا نسيبه إليه، وسمّاه برمضان، فأنزل فيه القرآن، هدى ورحمة للعالمين. ونصلي ونسلم على النبي الهادي الأمين (وآله وأصحابه الأخيار) الذي استقبل شهر الله بخطبة تُعدّ بمثابة استنفار روعي عام، لتهيئة النفوس وللتوبة إلى الله وللإستعداد للدخول بالمدرسة الرمضانية المباركة، التي فيها الفيوضات الربانية والنفحات الروحية وما هنالك من تبين لفضل وفوائد وآثار شهر الله على البشرية.

ولما كانت هذه الخطبة المباركة تتلى في كل سنة وعند بداية شهر الله رمضان المبارك لتكون محطة وخزان ومادة للعلماء والمبلغين والصائمين يتزودون منها ويرجعون إليها فيأخذون بكلام خير خلق الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) في استقبال شهر الله ما يكون مادة كاملة متكاملة تحتوي على الفوائد الدينية والأخلاقية والاجتماعية والروحية بحيث تتناسب مع أجواء هذه المناسبة المباركة.

وبما أننا نعدّ خدام الشريعة المحمدية تلقينا من السيد الجليل (محمد العلوي) رحمه الله دعوة لإلقاء المحاضرات الرمضانية في مملكة البحرين، فلبينا الدعوة مع الشكر والدعاء لصاحبها، وشرعنا بفضل الله تعالى ورحمة منه بشرح متواضع - مع الاعتراف بقلة البضاعة - للخطبة المباركة خلال تواجدنا في مملكة البحرين، ولما سمحت لنا الفرصة وكانت الظروف مؤاتية شرعنا بجمعها وتهذيبها وتنقيحها مع بعض الإضافات المهمة التي لا تخلو من فائدة، وتوكلنا على الله ربنا وأخرجناها إلى عالم الطباعة والنشر - وهذه الطبعة الثانية المعدلة - لتعم الفائدة العلمية المرجوة منها إن شاء الله، ولتكون لنا صدقة جارية في حياتنا ومماتنا.

أخيراً، أتمس من كل مستفيد من هذا الشرح الترحم علينا والدعاء لنا، خصوصاً عند مظان الإجابة.

والحمد لله رب العالمين.

المحتاج إلى رحمة ربه، ودعاء إخوانه،
المقصود جناحاه باللسن الحاسدين

محمد علي الحسيني

1445 / 2024

منشورات الحسيني

www.mohamadelhusseini.net

سند ومتم خطبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في استقبال شهر رمضان

قال الشيخ الصدوق⁽¹⁾ محمد بن بكر بن النقاش وأحمد بن الحسن القطان ومحمد بن أحمد بن إبراهيم المعاذي ومحمد بن إبراهيم بن إسحاق المكتب قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني مولى بني هاشم قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه الصادق جعفر بن محمد عن أبيه الباقر محمد بن علي عن أبيه زين العابدين علي بن الحسين عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي عن أبيه سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خطبنا⁽²⁾ ذات يوم فقال:

(1) الشيخ الصدوق (306-381) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، رئيس المحدثين. ولد بدعاء مولانا صاحب الأمر عليه السلام، له ثلاثمائة مصنف منها: الأمالي، علل الشرائع والأحكام، من لا يحضره الفقيه، عيون أخبار الرضا عليه السلام. دفن الشيخ الصدوق بأرض الري في طهران إيران: حدثنا [أي روى لنا مباشرة وهذا سند الخطبة المباركة متصل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)].
(2) بمعنى وعظنا بخطبة.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ أَقْبَلُ إِلَيْكُمْ شَهْرَ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ،
شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ
الليالي وساعاته أفضل الساعات، شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله
وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسيح، ونومكم فيه
عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله
ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفقكم لصيامه وتلاوة
كتابه، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مِنْ حُرْمِ غَفْرَانَ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ،
واذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدقوا
على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم وارحموا صغاركم،
وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وعضُّوا عمًّا لا يحل الاستماع
إليه اسماعكم وتحنُّوا على أيتام الناس كما يتحنن على أيتامكم،
وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدُّعاء في أوقات
صلواتكم، فإنها أفضل الساعات، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى
عباده يجيبهم إذا نادوه ويلببهم إذا ناجوه ويستجيب لهم إذا
دعوه. أَيُّهَا النَّاسُ! إِنْ أَنْفَسَكُمْ مَرْهُونَةً بِأَعْمَالِكُمْ فَفَكُّوْهَا بِاسْتِغْفَارِكُمْ،
وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخففوا عنها بطول سجودكم،
واعلموا أن الله (تعالى ذكره) أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين
والساجدين وان لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين.
أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ فَطَّرَ مِنْكُمْ صَائِمًا مُؤْمِنًا فِي هَذَا الشَّهْرِ كَانَ لَهُ
بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ (عز وجل) عتق رقبه ومغفرة لما مضى من ذنوبه،

فقليل له: يا رسول الله ليس كلُّنا يقدر على ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اتقوا النار ولو بشقِّ تمرّة، اتقوا النار ولو بشربة من ماء. أيُّها الناس! من حَسَّنَ منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خَفَّفَ في هذا الشهر عما ملكت يمينه خَفَّفَ اللهُ عليه حسابه، ومن كف فيه شره كَفَّ عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه اللهُ يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله اللهُ برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع اللهُ رحمته يوم يلقاه، ومن تطوع فيه بصلاة كتب اللهُ له براءة من النار، ومن أدَّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدَّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة علي ثقل اللهُ ميزانه يوم تخف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

أيُّها الناس إنَّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة، فاسألوا ربَّكم أن لا يغلقها عليكم وأبواب النيران مغلقة، فاسألوا ربَّكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فاسألوا ربَّكم أن لا يسلطها عليكم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام فقلت فقلت: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزَّ وجلَّ ثم بكى، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا علي أبكي لما يستحل

منك في هذا الشهر، كأنِّي بك وأنت تُصَلِّي لرَبِّك وقد انبعث
اشقى الأولين والآخرين، شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة
على قرنك فحضب منها لحيتك، قال أمير المؤمنين عليه السلام:
فقلت: يا رسول الله! وذلك في سلامة من ديني؟ فقال صلى الله
عليه وآله وسلم: في سلامة من دينك، ثم قال: يا علي! من قتلك
فقد قتلني ومن أبغضك فقد أبغضني ومن سبَّك فقد سبَّني،
لأنَّك منِّي كنفي، روحك من روحي وطبتك من طبتني، إنَّ الله
تبارك وتعالى خلقني وإيَّاك واصطفاني وإيَّاك واختارني للنبوَّة
واختارك للإمامة. فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتِي، يا عليُّ أنت
وصيي وأبو ولدي وزوج ابنتي، وخليفتي على أمَّتِي في حياتي
وبعد موتي، أمرك أمري ونهيك نهِي (1).

(1) هذا هو النص الكامل والمشهور عندنا لهذه الخطبة النفيسة أنظر: فضائل
الأشهر الثلاثة: 61/ 77، وأمالي الصدوق: 4/ 84، وعيون أخبار الرضا (عليه
السلام) 1: 295/ 53. وسائل الشيعة ج 10 ص 313. مسند الإمام الرضا
عليه السلام: ج 2: ص 185. البحار: ج 93: ص 356. ميزان الحكمة:
ج 2: 1117.

شرح خطبة رسول الله في استقبال شهر الله

ما يستفاد من كثرة الروايات الواردة عن النبي وآله الميامين، أنهم كانوا يستنفرون استنفاراً عاماً في بداية شهر رمضان المبارك، يهيئون الأنفس ويعظون الناس، ومماً نرويه ونتأسى به عملاً بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾⁽¹⁾ فنحن أهل السنة التي سنّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن نفتدي بها، فكيف كان رسول الله يستقبل هذا الشهر الكريم المبارك؟ وهنا يروي لنا الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه بإسناده إلى ثامن الحجج وثمره المهج الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بسنده إلى مولى الموحدّين وأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قال: خرج إلينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في آخر شعبان قال: (أُيِّبُهَا النَّاسُ..)

(1) سورة الأحزاب: 21.

بعد ما سردنا وبينّا متن وسند الخطبة المباركة نأتي إلى الدلالة، أي على ما تدل عليه هذه الخطبة بشكلٍ تفصيلي وموضوعي، بل هذا هو غرضنا وهدفنا من الشرح هنا.

- يأتي السؤال من المقصود من (أيها الناس) هنا؟

هل المقصود كافة الناس، الديني ولا ديني و المسلم والمسيحي واليهودي الخ... بمعنى هل هذا النداء والخطاب في بداية الخطبة عام وشامل ومطلق؟ أو أنه نداء خاص ومقيد بصنفٍ معين من الناس؟.

الجواب هو التالي:

أنا إذا أردنا أن نأخذ بالنداء بشكلٍ مستقلٍ أي من دون أن ندخل عوامل التقيد والتخصيص والتكليف بالعبادات يمكننا أن نقول: أن النداء عام يشمل جميع الناس بدلالة إطلاقه وعدم تقيده وهذا ما يصطلح عليه بقرينة الحكمة، وبالتالي فإن النداء يشمل جميع الناس. هذا قول.

وقول آخر: وهو أن النداء وإن كان عاماً لكن مراده خاص، بمعنى أطلق الكلام وأراد البعض خاصة والدليل أن النداء في الخطبة المباركة سببه قدوم شهر رمضان المبارك المخصص لكافة المسلمين دون غيرهم وبالتالي يمكننا أن نقول: أن النداء خاص ومقيد بالمسلمين فقط .

وقول ثالث: وهو أن النداء مخصص بالمؤمنين من المسلمين فقط دون غيرهم.

وللاستدلال على الاقوال الثلاثة نعود إلى كتاب الله حيث أننا نجد آيات كثيرة نستعمل فيها النداءات:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (1).

فالنداء هنا عام يشمل الناس كافة وفيه دعوة لهم لعبادة الله خالقهم. وقول تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِلَيَّ فَارْجِعُونَ﴾ (2).

والنداء هنا خاص ببني اسرائيل بطلب ذكرهم لنعم الله عليهم. ولكن الموضوع له عام كما جاء تبيان ذلك في (علم اصول الفقه).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (3).

بينما نجد في موضوع شهر رمضان والصيام مثلا تقيد واضح وصريح بالمؤمنين فقط والآية دالة على ذلك في قوله

(1) سورة البقرة: 21.

(2) سورة البقرة: 40.

(3) سورة آل عمران: 64.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (1).

وبالتالي فإن هذا الخطاب والنداء: (يا أيها) موجّه إلى الذين
آمنوا من المسلمين بشكلٍ خاصٍ ومقيد.

وكذلك الحال إذا راجعنا فتاوى المراجع العظام في الرسائل
العملية نجدهم يقولون: يشترط في صحة الصيام أمور، منها:
الإسلام فالنتيجة أن المقصود من النداء هنا هم المؤمنون من
المسلمين خاصة.

فهذا ملخص الأقوال الثلاثة في المسألة.

الإنصاف في المسألة هنا ورأينا أن الجمع بين الأقوال الثلاثة
أولى من الطرح، والجمع يكون على الشكل التالي:

بالنسبة للقول الأول: يحمل على أساس أن النداء موجّه لكافة
الناس لاستقبال البركة والرحمة والمغفرة الإلهية التي سوف تعم
الجميع في هذا الشهر الكريم.

ومع ذلك لا ننس أن من أسماء الله عز وجل (الرحمن) بمعنى
أنه رحمان بكل المخلوقات دون تقيد أو تخصيص وكذلك فإن
رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار)
هو رحمة للعالمين فخطابه ونداؤه كذلك.

(1) سورة البقرة: 183.

فيستدل على المطلوب أن الخطاب يشمل الناس كافة على أساس أن رحمة الله واسعة.

وبالنسبة للقول الثاني: فهو يشملهم من جهتين، الأولى: على أساس الحمل والتفسير الأول فهم من الناس، والثانية: هم من المسلمين والمسلم مكلف بالصيام وهذه خطبة لاستقبال شهر الصيام فيكون مشمولاً بالنداء على أساس أنه من الناس ومن المسلمين الذي شرفهم الله بالصيام ودعاهم إلى ضيافته في شهره.

النتيجة: هي أن النداء يشمل الناس من ناحية الرحمة والبركة والمغفرة الإلهية، والمسلمين من ناحية التكليف الشرعي، والمؤمنين من ناحية قبول الأعمال وثوابها. ونختم بحثنا ببيت للشافعي:

لا يقبل الله لعبداً عملاً حتى يواليهم بإخلاص الولا

إنه أقبل إليكم شهر الله

يريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) في هذه الخطبة المباركة أن يبلغنا وينبئنا بأنه سوف يقبل علينا شهر هام جداً ومميز وذو خصوصيات لذا استدعى أن يخصص له خطبة خاصة لبيان فضله وعلو شرفه.

والشهر لغة: شهر السيف أخرجه من غمده فصار ظاهراً، والشهر بداية ما يُسمّى بدورة الأيام.

ولهذا الشهر أسماء كثيرة منها: شهر الإسلام، شهر الصيام، شهر البركة، شهر الرحمة والمغفرة، وشهر رمضان.

والأشهر هو تسميته برمضان ومعنى رمضان لغة: إن رمضان معنى الاحراق والتذويب. والمناسبة بين هذا الاسم والشهر هو أن شهر رمضان فيه من الرحمة والمغفرة الإلهية ما يحرق ويذيب ذنوب العبد. كما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب»⁽¹⁾.

وأما عن نسبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) هذا الشهر إلى الله؟ دون غيره من الشهور.

(1) ميزان الحكمة: 2: 1116.

فالجواب عليه على الشكل التالي:

من المفروغ منه أنه لا يوجد شيء في عالم الوجود إلا مرجوعه إلى الله سبحانه، لأن هذا العالم الموجود إما أن يكون وجد بنفسه أو أوجده موجد، ومن هنا يقسمون الموجود إلى واجب الوجود وهو علة العلل. وممكن الوجود وهو كل ما يحتاج إلى علة لإيجاده فالله هو واجب الوجود وعلة العلل وغيره من الموجودات ممكنات كلها وتحتاج إلى علة في إيجادها.

فالنتيجة كل ما في الوجود سواء أكان زماناً أو مكاناً أو إنساناً أو جماداً يرجع بوجوده إلى الله. لكن يبقى لبعض الأشياء بما فيها من مميزات وخصوصيات وفضل وشرف على غيرها تنسب إلى الله عز وجل. كالصيام مثلاً ينسب إلى الله مباشرة كما في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) قال: قال الله تبارك وتعالى: «كل عمل ابن آدم له غير الصيام هو لي وأنا أجزي به»⁽¹⁾.

وكذلك الحال بالنسبة لهذا الشهر فقد نسب إلى الله عز وجل لعظيم مكانته وعلو شرفه وبما له من خصوصيات وميزات ما يحوي من بركات وخيرات وسوف نذكر شيء منها لاحقاً.

وهناك تفسير لطيف للسيد الشهيد محمد صادق الصدر (ره).

لمعنى نسبة شهر رمضان إلى الله، حيث يقول (ره):

(1) الوسائل: 10: 403.

«لا شك أن المخلوقات عموماً تختلف بالأهمية تجاه الخالق سبحانه. بمقدار ما اقتضت الحكمة من ذلك. والله سبحانه غني عن العالمين لا ينفعه قرب القريب ولا يضره بعد البعيد.

غير أن ذلك كله في مصلحة المخلوقين ينال كل واحد منهم بمقدار استحقاقه. وقد يكتسب - في هذا الصدد - المخلوق درجة عالية من الأهمية والرفعة والقرب المعنوي من الله عز وجل، بحيث يكون منسوباً إليه ومضافاً إلى اسمه.

ولذلك أمثلة عديدة، نطقت بكثيرٍ منها الآيات الكريمة. كقوله تعالى:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (1).

﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (2).

إلى كثير من الآيات الأخرى.

فقد نسب القرآن الكريم العديد من الأشياء إلى الله عز وجل. ونسب بعضها إلى السنة الشريفة. ومن أمثلتها ما هو مشهور بين الناس من القاب الأنبياء الستة الرئيسيين.

(1) سورة الحج: 26.

(2) سورة الحجر: 29.

فآدم صفوة الله ونوح نبي الله وإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله.

ويمكن أن يستفاد بعض هذا من القرآن الكريم أيضاً. كما لا يخفى على القارئ اللبيب.

فكذلك الحال في شهر رمضان المبارك الذي هو شهر الله لأنه ذو مزية عالية جداً في الإسلام بحيث نسب بهذه النسبة الشريفة المباركة⁽¹⁾.

على العموم فإن لهذا الشهر المبارك خصائص عدة نذكر منها: نزول القرآن الكريم فيه، والذي يحتوي على تعاليم السماء، قال تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾⁽²⁾.

وكذلك فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، قال تعالى:

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾⁽³⁾ تَنزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ⁽³⁾.

(1) فقه الأخلاق: 1: 268 .

(2) سورة البقرة: 185 .

(3) سورة القدر: 3-4 .

وتشريفنا بالصوم في هذا الشهر الكريم، قال تعالى:
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾.

وإستضافتنا فيه، والعمل فيه مقبول، والدعاء مستجاب،
وأبواب السماء مفتوحة وأبواب جهنم مغلقة، كل هذا أدى إلى
تخصيصه واختياره ونسبته عن باقي الشهور.

في رواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«إن الله اختار من السنة شهراً وهو شهر رمضان، ومن الليالي
ليلة القدر...»⁽²⁾.

وفي خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) :
«أيها الناس: إنَّ هذا الشهر فضّله الله سبحانه على سائر
الشهور، كفضلنا أهل البيت على سائر الناس»⁽³⁾.

فبعد هذا، لا شك ولا ريب أن الاختيار الرباني لهذا الشهر
المبارك عن نتائج مميزات وخصوصيات بالإضافة إلى المحطات
الروحية التي يتزود منها الإنسان خلال هذا الشهر وخصوصاً في
الأسحار، وكذلك النفحات الرحمانية التي ينبغي التعرض لها في

(1) سورة البقرة: 183 .

(2) وسائل الشيعة: 7 : 381 .

(3) فضائل الأشهر الثلاثة: 108 .

هذا الشهر، فكما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه
الأخيار): «إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله
يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً»⁽¹⁾.

فالنفحات كثيرة في هذا الشهر فعمل نفحة من الله عز وجل
تغفر لك ذنبك وترفعك إلى مقام الصالحين. فخلاصة المسألة أن
هذا الشهر المقبل علينا قد اختاره الله وخصه عن باقي الشهور.

بالبركة

إن شهر الله المقبل علينا يحمل معه أركان ثلاثة أساسية وهي:
البركة والرحمة والمغفرة.

فالركن الأول البركة: والتي تعني دوام الخير وثبوته بالزيادة
والنماء⁽²⁾. لهذا فسّر ابن عباس البركة بالكثيرة والنماء في كل
خير كان.

وقال العلامة الطبطبائي: «فالبركة بالحقيقة هي الخير المستقر
في الشيء اللازم له، كالبركة في النسل وهي كثرة الاعقاب أو
بقاء الذكر بهم خالداً، والبركة في الطعام أن يشبع به خلق كثير

(1) ميزان الحكمة: 2: 1051 . .

(2) لسان العرب: 10: 766 .

مثلاً، والبركة في الوقت أن يسع من العمل ما ليس في سعة مثله أن يسعه»⁽¹⁾.

فإذا اتضح لك هذا نقول: إنّ مبدأ جميع البركات في نظام التكوين هو الله سبحانه، وأنه ما من مخلوقٍ إلا وهو يحظى من البركات الإلهية على قدر استعداده وسعته الوجودية، سواء علم بذلك أم لم يعلم، وسواء أراد أم لم يُرد.

فإذا كان الحال هكذا فيعني أن كل شهر من الشهور يقبل علينا بالبركات فلماذا هذا التأكيد في الخطبة على حمل هذا الشهر للبركة فيلزم من ذلك تحصيل الحاصل!؟.

الجواب: هو كما بيّنا في السابق أن الله اختار من السنة شهراً وهو هذا الشهر الكريم وميّزه وخصّصه بأمر منها: زيادة ومضاعفة البركة الإلهية فيه. فقراءة آية من القرآن في شهر البركة رمضان يضاعف أجرها وثوابها وتكثر بركاتها حتى تصل بالأجر والثواب إلى كمن ختم القرآن في باقي الشهور.

ومن يصلّ ركعتين نافلتين في هذا الشهر فكأنه صلى ركعتين واجبتين في باقي الشهور والإنفاق في هذا الشهر يتضاعف عن الأشهر الأخرى حتى يصل إلى الألف ويربو حتى يصير كجبل أحد.

(1) تفسير الميزان: 7: 381 .

وبركات هذا الشهر كثيرة لا تعد ولا تحصى حتى النوم يصبح عبادة والنفس تسيح. لذا علينا أن نزرع فعل الطاعات ونشغل بركة هذا الشهر الكريم ونعمل الخيرات لنفوز مع الصائمين ونكون من المعتوقة رقابهم والمرحومين إن شاء الله. ولا بأس بذكر بعض ما ورد من آثار بركات شهر رمضان المبارك فيروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه: «نظر إلى هلال شهر رمضان فوقف ثم قال: جعلك الله هلال بركة لا تمحقها الأيام»⁽¹⁾.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«هو شهر يزيد الله فيه رزق المؤمنين»⁽²⁾.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) :

«يزيد الله فيه الأرزاق والأجال»⁽³⁾.

ولا ننسى أن من أهم بركات هذا الشهر المبارك ليلة القدر وأن العمل فيها مبارك ومضاعف ثوابه وأجره إلى أن يصل خيراً من ألف شهر.

(1) مستدرک الوسائل: 7 : 441.

(2) تهذيب الأحكام: 3 : 57.

(3) آثار الصوم: 68 .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«شهر رمضان وهو شهر يضاعف الله فيه الحسنات، ويمحو
فيه السيئات، وهو شهر البركة»⁽¹⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«أتاك شهر رمضان، شهر خير وبركة»⁽²⁾.
وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام):
«في دعائه لوداع شهر رمضان السلام عليك كما وفدت علينا
بالبركات»⁽³⁾.

ونختم بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
لو يعلم العبد ما في رمضان لودَّ أن يكون رمضان السنة»⁽⁴⁾.
فمحصل الكلام أن من أسباب نزول وزيادة تضاعف البركات
الإلهية شهر رمضان وهناك أسباب أخرى ذكرتها الروايات
والآيات نذكر منها:

-
- (1) البحار: 96:340 .
 - (2) كنز العمال: 8: 467 .
 - (3) الصحيفة السجادية.
 - (4) ميزان الحكمة: 3: 1116 .

- التقوى:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁽¹⁾.

- قيادة أهل البيت (عليهم السلام):

عن الإمام الحسن (عليه السلام):

«لو أنّ الناس سمعوا قول الله ورسوله لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركاتها»⁽²⁾.

- العدل:

عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«بالعدل تتضاعف البركات»⁽³⁾.

- التسليم عند دخول البيت:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«إذا دخل أحدكم بيته فليسلم، فإنه ينزله البركة»⁽⁴⁾.

(1) الأعراف: 96 .

(2) الأمالي للطوسي: 566- 1174 .

(3) غرد الحكم: 4211 .

(4) علل الشرائع: 23-583 .

- الإطعام:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«إنَّ البركة أسرع إلى البيت الذي يمتار منه المعروف من
الشفرة في سنام البعير»⁽¹⁾.

- عيادة المريض:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«عائد المريض في البركة، فإذا جلس انغمس فيها»⁽²⁾.

- الشاة والدجاج:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«الشاه في الدار بركة، والدجاج في الدار بركة»⁽³⁾.

- مسجد الكوفة:

عن أمير المؤمنين (عليه السلام):
«في فضل مسجد الكوفة تقربوا إلى الله بالصلاة فيه، فلو يعلم
الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبواً على الثلج»⁽⁴⁾.

(1) الكافي: 4 : 29.

(2) البحار: 81 : 224 .

(3) كنز العمال: 12 : 326 .

(4) من لا يحضره الفقيه: 1 : 232.

- كربلاء:

عن الإمام الصادق (عليه السلام) :
«إنّ طين قبر الحسين عليه السلام مسكة مباركة»⁽¹⁾.

- قم:

عن الإمام الصادق (عليه السلام) :
«سلام الله على أهل قم، يسقي الله بلادهم الغيث، وينزل عليهم البركات»⁽²⁾.

فهذا بعض ما جاء عن أسباب نزول البركة ولإتمام الفائدة في
البحث نذكر ما ورد في الروايات حول موانع نزول البركة:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«أربعة لا تدخل بيتاً واحد منهن إلا خرب ولم يعمر بالبركة:
الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنا»⁽³⁾.

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن رسول الله (صلى
الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر

(1) البحار: 101: 116 .

(2) البحار: 60: 217.

(3) أمالي الصدوق: 439 .

وتعاونوا على البر والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نزع منهم البركات»⁽¹⁾.

الاستخفاف بالصلاة فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) في بيان ما يصيب المتهاون بصلاته:

«يرفع الله البركة عن عمدته، ويرفع الله البركة من رزقه»⁽²⁾.

مال الحرام فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«لا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، وليتصدق به فيقبل منه»⁽³⁾.

«من غش أخاه المسلم، نزع الله عنه بركة رزقه»⁽⁴⁾.

فهذا ملخص ما جاء من الروايات حول البركة وأسبابها وموانعها⁽⁵⁾.

(1) التهذيب: 6: 181 .

(2) البحار: 83: 21 .

(3) كنز العمال: 4 - 17 .

(4) من لا يحضره الفقيه: 4: 15 .

(5) للتوسعة أكثر راجع: كتاب الخير والبركة للريشهري.

والرَّحمة

الركن الثاني من أركان هذا الشهر الرحمة ومعنى الرحمة لغة:
الخير والنعمة⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِن بَعْدِ ضِرَاءٍ مَسَّتْهُمْ﴾⁽²⁾.

والمقصود هنا أن هذا الشهر المبارك مقبل علينا بالرحمة أي بالخيرات والنعم في هذا الشهر الكريم لنفس العلة والسبب الذي ذكرناه في البركة ففي هذا الشهر وسعت رحمة الله كل شيء. حتى أصبح بفضل رحمته النفسُ تسيحاً والنوم عبادة والعمل مقبولاً وبرحمته أغلقت أبواب النيران وغلت أيادي الشيطان.

وفي هذا الشهر ينظر الله بعين الرحمة إلى عباده يجيبهم إذا نادوه ويليبهم إذا ناجوه ويستجيب لهم إذا دعوه.

فهذه الرحمة الإلهية التي قال عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله قالوا: ولا أنت؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: ولا أنا إلا أن يتغمدني برحمته»⁽³⁾.

(1) المعجم الوسيط: 335.

(2) سورة يونس: 21.

(3) كنز العمال: 10407.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«ما خلق الله من شيء إلا وقد خلق له ما يغلبه وخلق رحمته تغلب غضبه»⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾⁽³⁾.

أقول: بعدما انتهينا من ذكر الرحمة الإلهية وأن من أسبابها شهر رمضان الكريم كذلك هناك أسباب أخرى توجب الرحمة الإلهية نذكر منها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾⁽⁵⁾.

(1) كنز العمال: 10390 .

(2) سورة الانعام: 54 .

(3) سورة الروم: 50 .

(4) سورة الاعراف: 56 .

(5) سورة النساء: 175 .

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (1).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«... قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أحب أن يرحمني ربي؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: ارحم نفسك وارحم خلق الله يرحمك الله» (2).

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«تعرضوا لرحمة الله بما أمركم به من طاعته» (3).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أبلغ ما تستدر به الرحمة أن تضمير لجميع الناس الرحمة»
«بالعفو تنزل الرحمة» «بذكر الله تستنزل الرحمة» (4).

ولا بأس بذكر بعضاً من الذين تنزل عليهم رحمة الله بشكل خاص:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (5).

(1) سورة البقرة: 157 .

(2) كنز العمال: 44154 .

(3) تنبيه الخواطر: 360 .

(4) سورة غرر الحكم.

(5) سورة النور: 56 .

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (2).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (3).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«رحم الله امرأً عرف قدره ولم يتعد طوره» (4).

وعنه (عليه السلام):

«رحم الله عبداً راقب ذنبه وخاف ربه» (5).

وقال عنه (عليه السلام):

«رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوراً فرده» (6).

وقال (عليه السلام):

«رحم الله امرأً أحمياً حقاً وأمات باطلاً» (7).

(1) سورة آل عمران: 132.

(2) سورة البقرة: 157.

(3) سورة النساء: 175.

(4) غرر الحكم.

(5) غرر الحكم.

(6) غرر الحكم.

(7) غرر الحكم.

وكذلك قال (عليه السلام):

«رحم الله امرأً قمع نوازع نفسه إلى الهوى فصانها، وقادها إلى طاعة الله بعنانها»⁽¹⁾.

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«إنما يرحم الله من عباده الرحماء»⁽²⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«الراحمون يرحمهم الرحمان يوم القيامة ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء»⁽³⁾.

فبعد سرد هذه الآيات والأحاديث عن الرحمة الإلهية، أقول: إن الرحمة الإلهية الواسعة والشاملة مقبلة علينا في هذا الشهر الكريم فينبغي أن نتعرض لها ونستفيد منها، فيها تغفر ذنوبنا وتعتق رقابنا وتقبل أعمالنا وبها ندخل الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فنسأل الله الرحمن الرحيم أن يشملنا ويسعنا برحمته التي وسعت كل شيء ويجعلنا من المرحومين لا المحرومين.

(1) غرر الحكم .

(2) كنز العمال: 5967 .

(3) البحار: 77: 167.

..المغفرة

الركن الأساسي والأخير من أركان هذا الشهر المبارك هو المغفرة، والمغفرة الإلهية تعني ستر وتغطية ونسخ وإزالة المعاصي والذنوب وعدم المؤاخذة بها. فأصبح معلوماً أن هذا الشهر شهر المغفرة الإلهية فمن فطّر صائماً مؤمناً فيه كان له مغفرة من الله لما مضى من ذنوبه. ومن صام هذا الشهر الكريم خرج منه كما ولدته أمه من غير ذنوب ولا أثام. نعم فإن هذا الشهر يُسمى شهر الغفران والمغفرة الإلهية والشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم لما فيه من البركة والرحمة والمغفرة والآن نسرد بعض ما ورد من أحاديث حول غفران الله في هذا الشهر العظيم:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«إنما سُمي رمضان، لأنه يرمض الذنوب»⁽¹⁾.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله، ما رمضان؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أرمض الله فيه ذنوب المؤمنين وغفر حالهم»⁽²⁾.

(1) كنز العمال: 8-466، ومعنى يرمض أي يذوب ويحرق.

(2) الدر المنثور: 1-444.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم له ما تقدم من ذنبه»⁽¹⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «شهر رمضان شهر فرض الله عليكم صيامه، فمن صامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»⁽²⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «يأمر الله ملكاً يُنادي في كل يوم من شهر رمضان في الهواء: أبشروا عبادي! فقد وهبت لكم ذنوبكم السالفة، وشفعت بعضهم في بعض في ليلة القدر»⁽³⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «يقول الله تبارك وتعالى في كل ليلة في شهر رمضان ثلاث مرات: ... هل من مستغفر فأغفر له؟!»⁽⁴⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدعاء، فأما الدعاء فيدفع عنكم البلاء، وأما الاستغفار فتمحاه به الذنوب»⁽⁵⁾.

(1) الامالي للطوسي: 150-247.

(2) تهذيب الأحكام: 4-152-421.

(3) البحار: 97: 5.

(4) فضائل الأشهر الثلاثة: 126.

(5) الكافي: 4: 88.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، نظر الله إلى خلقه، وإذا نظر الله إلى عبدٍ لم يعذبه أبداً، والله في كل ليلة ويوم ألف ألف عتيق من النار، فإذا كانت ليلة تسع وعشرين أعتق الله فيها مثل جميع ما أعتق في الشهر كله، فإذا كانت ليلة الفطر ارتجت الملائكة وتجلى الجبار بنوره مع أنه لا يوجفه الواجفون، فيقول الملائكة وهم في عيدهم من الغد: يا معشر الملائكة، يوحى إليه: «ما جزاء الاجير إذا وفى عمله؟» تقول الملائكة: يُوفى أجره، فيقول الله تعالى: "أشهدكم أنني غفرت لهم"⁽¹⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «أعطيت امتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن أمة نبي قبلي: أمّا واحدة: فإذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن ينظر الله إليه لم يعذبه أبداً.

وأما الثانية: فإن خلوق أفواهم - حين يمسون - عند الله أطيب من ريح المسك.

وأما الثالثة: فإن الملائكة يستغفرون لهم في ليلهم ونهارهم.
وأما الرابعة: فإن الله يأمر جنته أن استغفري وتزيني لعبادي، فيوشك أن يذهب عنهم نصب الدنيا وأذاها ويصيروا إلى جنتي وكرامتي.

(1) كنز العمال: 8- 471.

وأما الخامسة: فإذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعاً.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«ألم ترى إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم وفوا؟!»⁽¹⁾.

فهذا قليل من كثير ما ورد من المغفرة الإلهية في هذا الشهر فالمغفرة الإلهية موجودة وباب التوبة مفتوح فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه؟ لذا وردت جملة من الأخبار تدم وتصف الشخص الذي لم يستفيد من المغفرة الإلهية بالشقي. فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«إن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم».

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) «إن الشقي حقّ الشقي من خرج عنه هذا الشهر ولم يغفر ذنوبه، فحينئذٍ يخسر حين يفوز المحسنون بجوائز الرب الكريم»⁽²⁾.

«رغم أنف رجلٍ دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له».

فعلاً بعد كل هذه البركات والخيرات والرحمة والمغفرة في هذا الشهر الفضيل ولم يعمل العبد ولم يستفد من البركة والرحمة والمغفرة الإلهية فيه يكون العبد مصداقاً لقول النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

(1) فضائل الأشهر الثلاثة: 141 .

(2) البحار: 96 : 362 .

«من لم يُغفر له في شهر رمضان ففي أي شهر يُغفر له؟!» (1) .

فمحل الكلام أن من أسباب وموجبات المغفرة الإلهية شهر رمضان المبارك. وكذلك هناك اسباب وموجبات أخرى نذكر البعض منها:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (2) .

﴿قُلْ يَبَادِيُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (3) .

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (4) .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«إن من موجبات المغفرة: إدخال السرور على أخيك المسلم، وإشباع جوعته، وتنفيس كربته» (5) .

(1) الأمالي للصدوق: 107 .

(2) سورة النساء: 64 .

(3) سورة الزمر: 53 .

(4) سورة آل عمران: 133 .

(5) الرسالة السعدية: 164 .

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «من موجبات المغفرة بذل الطعام، وإفشاء السلام، وحسن الكلام»⁽¹⁾.

وكذلك ورد أن من أسباب وموجبات المغفرة:

1 - أداء الفرائض.

2 - الحج.

3 - التوبة والاستغفار.

4 - قيام ليلة القدر.

5 - التواجد في الأماكن المقدسة كالوقوف في عرفات،
وزيارة أهل البيت (عليهم السلام).

6 - الموت على حب آل محمد (عليهم السلام).

فهذه خلاصة القول حول الأركان الثلاثة الأساسية لشهر رمضان فنسأل الله البركة والرحمة والمغفرة والتوفيق لصيامه وقيامه.

(1) البحار: 73: 11 .

شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام وليليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات

قد ذكرنا في بداية شرح الخطبة المباركة أن لشهر رمضان خصائص مهمة ومميزة، وهي منشأ ما يحظى به هذا الشهر من بركات عظيمة تميزه عن باقي الشهور ولهذا الشهر نعوتات متعددة، تدلك بأجمعها على فضل هذا الشهر عن غيره، ومن هذه الأسماء.

شهر الله⁽¹⁾، شهر الضيافة، شهر الصيام، شهر القيام، شهر الرحمة، شهر البركة، شهر المغفرة، شهر الدعاء، شهر مبارك، شهر فضيل، شهر عظيم إلخ...

بالإضافة إلى جلال هذا الشهر وعظمته وبركاته المعنوية والمادية التي تنهمر على أهل الإيمان، هي ممّا ينأى عن الوصف من منظور الأحاديث الإسلامية، فلو توفر المسلمون على معرفة صحيحة ببركات هذا الشهر، وأدركوا عظيم مواهبه وحبواته، لتمنوا أن تكون السنة برمتها شهر رمضان، على ما يفيد الحديث النبوي الشريف بهذا الشأن: «لو يعلم العباد ما في رمضان، لتمنت أن يكون رمضان سنة»⁽²⁾.

(1) عند شرح عبارة شهر الله.

(2) مصدر سابق.

على أي حال سوف نضيف بعض الشيء حول أفضلية شهر رمضان عن غيره من الشهور معنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «شهر رمضان سيد الشهور»⁽¹⁾.

وعن الإمام الرضا (عليه السلام):

«إذا كان يوم القيامة زفت الشهور إلى الحشر يقدمها شهر رمضان عليه من كل زينة حسنة، فهو بين الشهور يومئذ كالقمر بين الكواكب، فيقول أهل الجمع بعضهم لبعض: ودنا لو عرفنا هذه الصور! فينادي مناد من عند الله - جل جلاله -: «يا معشر الخلائق، هذه صور الشهور التي عدتها عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، سيدها وأفضلها شهر رمضان، أبرزتها لتعرفوا فضل شهر على سائر الشهور، ويشفع للصائمين من عبادي وإمائي واشفعه فيهم»⁽²⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«إن لرمضان حقاً وحرمة لا يشبهه شيء من الشهور»⁽³⁾.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«لا يكونن شهر رمضان عندكم كغيره من الشهور، فإن له عند الله حرمة وفضلاً على سائر الشهور»⁽⁴⁾.

(1) كنز العمال: 8-482 .

(2) فضائل الأشهر الثلاثة: 110 .

(3) الكافي: 2: 617 .

(4) البحار: 96: 340 .

وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام) من دعائه عند دخول شهر رمضان:

«... السلام عليك يا شهر الله الأكبر... السلام عليك يا خير شهر في الأيام والساعات»⁽¹⁾.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أيها الناس، إن هذا الشهر شهر فضله الله على سائر الشهور كفضلنا أهل البيت على سائر الناس»⁽²⁾.

وسوف أذكر خمسة خصائص جديدة لهذا الشهر المبارك:

- أول السنة:

عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«إن أول كل سنة أول يوم من شهر رمضان»⁽³⁾.

- فيه ليلة القدر:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك... فيه ليلة القدر خير من ألف شهر»⁽⁴⁾.

(1) الصحيفة السجادية.

(2) فضائل الأشهر الثلاثة: 107 .

(3) البحار: 97: 305.

(4) التهذيب: 4: 152 .

- فيه نزول الكتب السماوية:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثمانى عشرة خلون من شهر رمضان...»⁽¹⁾.

- نزول القرآن:

قالى تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾⁽²⁾.

يكفي لهذا الشهر فضلاً أنه أنزل فيه القرآن الذي أنزلت فيه تعاليم سامية كانت مداداً للدين والدنيا، وهو هدى للناس أي هادٍ ومرشد لهم وبيّنات من الهدى والفرقان.

- الضيافة الإلهية:

والخصوصية الأبرز في هذا الشهر الفضيل، هي الضيافة الإلهية. وسوف يأتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقاً إن شاء الله. فبعد ما ذكرناه لا شك ولا ريب أن شهر الله رمضان هو أفضل الشهور وسيدها.

(1) الكافي: 2: 628 .

(2) سورة البقرة: 185 .

شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله

بعدها انتهى (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) من ذكر أفضلية العام وهو شهر رمضان واستدلنا على ذلك. بدأ بذكر الخاص بعد العام. حيث إن الأيام والليالي والساعات كلها متفرعات وتدخل ضمن عنوان الشهر. فإذا أثبتنا وبرهنا على أفضلية شهر رمضان - والحال هكذا - تسببت معه أفضلية الأيام والليالي والساعات قطعاً وجزماً.

وهذا ما يُسمّى في علم البيان ذكر الخاص بعد العام: وهو أن يذكر المتكلم شيئاً عاماً ثم يخص بعض أفراده بالذكر للبيئة على فضله وشرفه كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (1).

فأعاد سبحانه ذكر جبريل وميكائيل بعد ذكر الملائكة تنبيهاً على فضلهما، وكذا قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَكِّهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (2).

وإنما عطف النخل والرمان على الفاكهة وإن كانا منها بياناً لفضلهما. وكذلك الحال هنا ذكر الأيام والليالي والساعات الرضائية تنبيهاً لفضلها وعظيم شرفها وأفضليتها على غيرها.

(1) سورة البقرة: 98.

(2) سورة الرحمن: 68.

جاءت الدعوة الرسمية الإلهية إلى الضيافة الربانية على مائدة الرحمن الكريم في شهر رمضان المبارك.

والذي أتى بهذه الدعوة هو الرسول الكريم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار)؛ لأن الرسول هو حامل الرسالة، وهو سبب ووسيلة هداية الله (عز وجل) للناس، وهو سفير مرسل من السفارة الربانية، لذا نقول هنا إن الذي قام بدور الوسيط بالدعوة إلى الضيافة الرحمانية الرمضانية هو رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار).

ونأتي إلى الضيافة لغة لها عدة معانٍ منها: «الميل والإستمالة، الدنوّ والإيواء، الطعام والإطعام، والإضافة إلى الدار والمشاركة مع أهلها في مكانهم وطعامهم وحديثهم»⁽¹⁾.

أما ضيافة الله فهي خلق من أخلاقه «سبحانه وتعالى» الذي استضاف مخلوقاته إلى طيب أرزاقه، ويطعمهم على موائده الكريمة الممتدة. كما يستضيفهم في الطاعات والعبادات في شهر رمضان أو في الحج أو آناء الليل والنهار، بل في كل ساعة وكل يوم، على مدى الأسابيع والأشهر، ومواسم السنوات.

(1) يراجع: لسان العرب: 9: 208، مقاييس اللغة: 3: 380، مفردات غريب القرآن: 300.

فمن أحب الله (جل وعلا) لبيّ دعوته وتضيفه، وتعلم منه كيف يحب الضيافة أولاً، وكيف يراعي آدابها وحرمتها وشروطها⁽¹⁾.

على كل عرفنا أنه هناك دعوة رسمية وضيافة وأن المضيف هو الله خالق الخلائق الرزاق الكريم وليس ببخيل الذي لا يزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً. قد استضافنا على مائدته وفي شهره المبارك. وهنا تأتي عدة أسئلة حول نوعية الضيافة وشروطها وآدابها..

يقول الشهيد دستغيب (ره):

«إن الله عظيم فضيافته سبحانه عظيمة، إذا دعا شخص عظيم ضيفاً كيف تكون ضيافته له؟ طبعاً سوف يكون إكرامه متناسباً مع شأن الداعي، والله تعالى الذي هو ملك الملوك ورب العالمين...»⁽²⁾.

أمّا بخصوص شمولية الدعوة فكما بيّنا في بداية الشرح فإن الدعوة تشمل جميع الناس من عدة جهات وبلا إشكال الله كريم وضيافته كذلك لكن هناك شروط وقيود وآداب لهذه الضيافة.

لذا ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) أنه قال لجابر الانصاري:

«هذا شهر رمضان، من صام نهاره، وقام ورداً من ليله، وعفّ بطنه وفرجه، وكفّ لسانه، خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر.

(1) انظر: أدب الضيافة: 13 .

(2) شهر الله: 17 .

فقال جابر: يا رسول الله! ما أحسن هذا الحديث! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا جابر! وما أشدّ هذه الشروط»⁽¹⁾. فهذا الحديث النبوي يبيّن لنا بعضاً من شروط الضيافة الإلهية وآدابها.

وكذلك جاء عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام):

«الصيام اجتناب المحارم، كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب»⁽²⁾.

وعن مولاتنا فاطمة (عليها السلام):

«ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه؟!»⁽³⁾..

وغير هذا من الأخبار والروايات التي تحث وتنبه على حرمة هذا الشهر وكيف ينبغي لنا مراعاة هذه الضيافة فلا يكون يوم الصيام عندنا كيوم الإفطار. بمعنى لا يكون حالنا ونحن مدعوون على الضيافة الإلهية والمائدة الرحمانية في هذا الشهر كحالنا في باقي الشهور.

فكما لهذا الشهر خصوصية وميزة عن باقي الشهور، كذلك ينبغي أن يكون حالنا كذلك فينبغي علينا صون السمع عن

(1) الكافي: 4: 87.

(2) البحار: 96: 294.

(3) البحار: 96: 95.

الحرام واللسان والقلب وباقي الجوارح كذلك. لناخذ من شهر رمضان دورة تدريبية على ذلك حتى نعتاد على ترك المحرم من جهة ومن جهة أخرى احتراماً للضيافة الإلهية التي لا تكون إلا للمطيع ولمن تحققت فيه شروط الضيافة. فالمذنب والعاصي وباقي الأشخاص الذين لا يراعون آداب وشروط حرمة هذا الشهر فهم بالتأكيد ليسوا مدعوين إطلاقاً على هذه المائدة الربانية ولا دخل لهم في هذه الدعوة الإلهية.

فهذا هو الأساس والميزان لهذه الضيافة والتي من أهم آدابها الورع عن محارم الله واجتناب معاصيه التي منها الغيبة والكذب والرياء بل كل ما يكرهه صاحب الدعوة وهو الله تعالى.

فبعد كل ما تقدم نقول:

نحن عباد الله قد دُعينا من قِبَلِ الله واستضافنا وشرّفنا في ضيافته في هذا الشهر المبارك. فعلينا ان نكون _ ولو على الأقل في هذه الدعوى- مآدبين ومراعين لحرمة هذا الشهر وعلينا استغلال الضيافة قدر الإمكان بمحاسبة وتربية أنفسنا، ولنستغفر الله ربنا من ذنوبنا ومعاصينا. ولنتوب إليه في شهر التوبة والمغفرة توبة نصوحة لا رجوع عنها. ولنعمل على تدريب وإمساك أنفسنا وجوارحنا جيداً بحيث لا يصدر منا أي ذنب لا غيبة لا نميمة لا كذب ولا سب ولا حسد بل لا تفكير بفعل معصية أو محرم أو شبهة لكي لا نسيء إلى الضيافة.

وعلينا أن نستغل بركات هذا الشهر للتخلي عن العادات السيئة والصفات الخبيثة ونعمل على التحلي بالآداب والصفات الحميدة.

كما تخلينا عن الأكل والشرب وباقي المفطرات كذلك علينا أن نتخلى ونمتنع عن المعاصي والذنوب والآثام. فإذا كنّا كذلك فقد لبّينا الدعوة الإلهية كما يجب وإلاّ فلا؛ لأن الضيافة الإلهية لا تكون إلا للمطعنين. جعلنا الله وإياكم منهم أمين.

هذا بالنسبة للدعوة الإلهية وشروطها وآدابها.



وجعلتم فيه من أهل كرامة الله

من الطبيعي بعدما دعانا الله (عز وجل) إلى ضيافته وشرفنا بذلك، أن تنطوي هذه الضيافة على الكرامة كرامة الله للمضيف.

ومعنى الكرامة هنا العزة والخير والشرف والقرب والمنزلة عند الله، وكل ذلك يعني إكرامية من الله لضيوفه على مائدته في شهره.

ولكن من قبل الدعوة والضيافة الإلهية ولبّي الدعوة كما يجب فهو من أهل كرامة الله.

ويكفي هنا أن نشير إلى مسألة وهي أننا في حياتنا الاعتيادية إذا ما دعانا شخص مسؤول صاحب جاه ووجاهة أو لديه موقع ما إلى بيته أو مكتبه أو محله أو إلى مائدته أو شيء من مختصاته

فيعد ذلك شرفاً ومنزلة وعزاً وكرامة للمدعو وهذا بلا إشكال لأنه أصبح يُعد أنه قريب وله شأن عند صاحب الدعوة فإنه يجلس أو يأكل معه فمن الطبيعي أن يسري ولو شيء من الشرف والكرامة من الداعي إلى المدعو وبنفس الوقت يرى المدعو أنه مقرب إلى الداعي دون غيره فهذا بحد ذاته يعد عرفاً كرامة وعزة للمدعو. فهذا على صعيد حياتنا الدنيوية فكيف إذا كان الداعي لنا هو الله الكريم العزيز ملك الملوك رب الأرباب وإله الإلهة؟ فمن الطبيعي أن يكون المدعو هنا صار مقرب من الله ومن أهل كرامته.

طبعاً مع شرط التقيد بالدعوة ومراعاة آدابها واحترامها فبذلك نكون قد جعلنا من أهل العزة والشرف والكرامة الإلهية وكنا من المقربين إلى الله في شهره.

ولا بأس أن نشير إلى أن كرامات الله لعباده كثيرة منها ضيافته في شهر رمضان ومنها زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) كما ورد ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«من أراد أن يكون في كرامة الله يوم القيامة، وفي شفاعته (محمد صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) فليكن للحسين (عليه السلام) زائراً، ينال من الله أفضل الكرامة»⁽¹⁾.

جعلنا الله وإياكم من زوار سيد الشهداء (عليه السلام) ومن أهل الكرامة في الدين والدنيا والآخرة.

(1) مستدرک الوسائل: 10: 237.

أنفاسكم فيه تسبيح

شرع النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) ، في بيان المائدة الإلهية والأطعمة المعنوية اللذيذة التي قرّر الله (عز وجل) إعطاءها لضيوفه على مائدته وفي شهره، مع العلم أن هذه الأطعمة المعنوية لا توجد بل لا تُعطى لأحد في غير هذا الشهر العظيم وفي غير هذه الضيافة.

وأول الأطعمة أن جعل نَفْسَ الإنسان الذي هو من المستلزمات والضروريات لحياته، ولا بُدّ منه لوجوده واستمراره في هذا العالم على قيد الحياة. فجعل الله النفس في هذا الشهر تسبيحاً.

فعند كل شهيق وزفير ثواب التسبيح في شهر رمضان، وفي ضيافة الرحمن.

والتسبيح لغة: تنزيه الله (جل ثناؤه) من كل سوء.

والتسبيح اصطلاحاً: لا يختلف عن المعنى اللغوي بكثير.

قالوا: التسبيح يعني التنزيه عما لا يليق به (سبحانه وتعالى) من الشريك والولد والصاحبة والنقائص مطلقاً.

وذكر الشيخ اليزدي تعريفاً:

«التسبيح هو التسريع في العبادة والسباحة فيها بذكر الله تعالى بأيّ وجه أقلّه ذكر: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله

أكبر) ثم استعمل في عبادة خاصة تشتمل التنزيه، ونفي كل نقص عنه تعالى، أعظمه الشريك والولد، قال تعالى:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (1).

ونذكر هنا بعض الآيات التي ورد فيها ذكر التسييح والحث عليه: قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (2).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (3).

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (4).

قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (5).

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ (6).

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (7).

(1) سورة الأنبياء: 22.

(2) سورة الأعلى: 1.

(3) سورة السجدة: 15.

(4) سورة طه: 130.

(5) سورة الروم: 17.

(6) سورة آل عمران: 41.

(7) سورة ق: 39.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ اللَّيْلِ ﴿١﴾.

فهذه بعض الآيات الكريمة التي نتحدث وتحت على التسبيح.

- فضل التسبيح:

قد ورد روايات كثيرة نتحدث عن فضل التسبيح ننقل بعضاً منها:

عن يونس بن يعقوب قال: قلت أبي عبد الله (عليه السلام):
«من قال: (سبحان الله) مائة مرة كان ممن ذكر الله كثيراً؟ قال:
نعم»⁽²⁾.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) أنه قال:
«من قال (سبحان الله ويحمده) كتب الله له ألف ألف حسنة،
ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، ومن زاد زاده
الله»⁽³⁾.

وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام):
«من قال (سبحان الله) صلى عليه كل ملك»⁽⁴⁾.

(1) سورة الطور: 48-49.

(2) البحار: 93: 181.

(3) معاني الاخبار: 411.

(4) البحار: 93: 177.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«من قال سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، كتب الله له ثلاثة آلاف حسنة، ومحا عنه ثلاثة آلاف سيئة، ورفع له ثلاثة آلاف درجة، ويخلق منها طائراً في الجنة، وكان أجر تسبيحه له»⁽¹⁾.

وعنه (عليه السلام): «من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، ثلاثين مرة استقبل الغنى، واستدبر الفقر، وقرع باب الجنة»⁽²⁾.
فهذا باختصار ما ورد من روايات بفضل وثواب التسبيح.

- فوائد التسبيح:

مما لا يخفى أن للتسبيح فوائد وآثاراً دينية و دنيوية وأخروية، فالتسبيح شفاء القلوب ويصل المسبح بربه، ويبقي اللسان رطباً بذكر الله، وفيه كسب لحب الله ومرضاته، وفيه استقبل الغنى واستدبر الفقر. على العموم فإن للتسبيح فوائد وفضائل كثيرة تقرب الإنسان من ربه وتفتح له أبواب الجنة كما فتح للنبي يونس عليه السلام بطن الحوت في القصة المعروفة، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٢٤﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢٥﴾﴾⁽³⁾.

(1) الوسائل: 4: 1202.

(2) أمالي الصدوق: 231.

(3) سورة الصافات: 143-144.

وروي في كتاب التهذيب أن من قال بعد فريضة الفجر عشر مرات: «سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» عافاه الله تعالى من العمى والجنون والجذام والهدم (إنهدام الدار) والهرم.⁽¹⁾ إلى ما شاء الله من فوائد وآثار التسييح.

فبعد كل ما ذكر نفهم معنى أن يكون نفس الإنسان وهو في ضيافة الرحمن تسييحاً.

طالما كان البحث في التسييح فلا بأس أن نذكر لكم شيئاً عن تسييح سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) والذي سمع عنها الكثيرون وسبحها المؤمنون.

يظهر من أحاديث عديدة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) علم هذه التسييحة الشريفة لابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وكانت تداوم عليها وتسعى بالمحافظة عليها، ولهذا سمّيت بـ «تسييح الزهراء أو تسييحة الزهراء (عليها السلام)»، ولهذه التسييحة شأن رفيع وعظيم عند الأئمة عليهم السلام والمؤمنين.

- كيفية تسييح الزهراء (عليها السلام):

فكما ورد ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) أن تكبر أربعاً وثلاثين تكبيرة، - الله أكبر - وتسبح ثلاثاً

(1) التهذيب: 2: 105 .

وثلاثين تسيحة - سبحان الله - وتحمد ثلاثاً وثلاثين تحميدة
- الحمد لله - (1).

- فضيلة تسبيح الزهراء (عليها السلام):

يعتبر تسبيح الزهراء (عليها السلام) من أفضل تعقيبات الصلاة،
ويستحسن المداومة عليه بعد الصلاة الواجبة وقيل النوم وأنقل
بعض ما ورد في فضيلتها وثوابها:

عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«مَنْ سَبَّحَ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَام) قَبْلَ أَنْ يَشْرِبَ
رَجُلِيهِ مِنْ صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ، وَلِيَبْدَأَ بِالتَّكْبِيرِ» (2).

وعنه (عليه السلام):

«مَنْ بَاتَ عَلَى تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ
كَثِيراً أَوْ الذَّاكِرَاتِ».

وعن الإمام الباقر (عليه السلام):

«مَنْ سَبَّحَ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) ثُمَّ اسْتَغْفَرَ عُفْرَ لَهُ، وَهِيَ
مِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، وَيَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَيَرْضَى الرَّحْمَنَ».

فهذا باختصار تسبيح الزهراء (عليها السلام) (3).

(1) الوسائل: 4: 1026.

(2) الوسائل: 4: 1023.

(3) إذا أردت التوسع ومعرفة التفاصيل أكثر: آثار وأسرار تسبيح الزهراء، لعلي رجالي.

ونومكم فيه عبادة

الصف الثاني من الأصناف الموجودة على المائدة المعنوية في الضيافة الإلهية هو أن النوم والذي فيه غفلة عن الله تعالى يجعله في شهر رمضان عبادة يثاب عليها.

ولا يخفى عليكم أنّ النوم من الأمور الضرورية التي يتوقف عليها صلاح جسد الإنسان وفساده.

وحيث إنّ أوضح منافع استراحة القوى عما يعرضها من التعب والعناء قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾⁽¹⁾.

وكذلك فإنّ النوم ضروري لتكميل هضم الغذاء وإعانة الهاضمة في عملها ولترتاح فيه المعدة من أخطار الشراهة.

ويتخلّص فيها الجسد من الشحوم والأدران والسموم فهذا بالنسبة لنوم الجسد الذي لا يؤجر عليه صاحبه بل يُعد الإكثار منه مذموماً يوم القيامة لأن من كثر نومه قل عمله ومن قلّ عمله قلّ أجره كما ورد ذلك في الأحاديث فعن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«يَاكُمْ وكثرة النوم، فإن كثرة النوم يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة»⁽²⁾.

(1) سورة نأ: 9 .

(2) البحار: 76: 183 .

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام):

«إن الله يبغض العبد النوام الفارغ»⁽¹⁾.

وعن الصادق (عليه السلام):

«كثرة النوم مذهبة للدين والدنيا»⁽²⁾.

وعن الإمام علي (عليه السلام):

«من كثر في ليله نومه فاته من العمل ما لا يستدركه في يومه»⁽³⁾.

على العموم فإنك تجد في أغلب كتب الأحاديث أبواب خاصة تتحدث عن كراهة كثر النوم.

ومن المفيد أن نذكر لكم بعضاً من آداب النوم ومستحباته:

- الطهارة:

أن لا ينام الإنسان محدثاً بل من المستحب الأكيد أن ينام على طهارة فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «إن أدركه الموت ليله فهو عند الله شهيد»⁽⁴⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«من تطهر وأوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجد»⁽⁵⁾.

(1) الكافي: 5: 84.

(2) نفس المصدر.

(3) ميزان الحكمة: 4: 3404.

(4) انظر: مستدرك الوسائل: 13: 43، الوسائل: 17: 57.

(5) البحار: 76: 183.

- محاسبة النفس:

من صفات المؤمنين وهو كذلك أنهم يحاسبون أنفسهم قبل النوم وفي كل ليلة قبل أن يحاسبوا في موقف الحساب على قاعدة قول الأئمة (عليهم السلام):

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها»⁽¹⁾.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ليس ممّا من لم يحاسب نفسه كل يوم فإن عمل خيراً حمد الله استزاده وإن عمل شراً استغفر الله»⁽²⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«إذا أويت إلى فراشك فانظر ما كسبت في يومك واذكر أنك ميت وأن لك معاداً»⁽³⁾.

- قراءة سورة التكاثر:

فإنه من المستحب قراءتها قبل النوم فعن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من قرأ (الهاكم التكاثر) عند النوم وقي فتنة القبر»⁽⁴⁾.

(1) عدة الداعي: 163.

(2) البحار: 76: 190.

(3) البحار: 76: 196.

(4) الوسائل: 4: 1027.

- تسبيحة الزهراء (عليها السلام) والمعوذتين وآية الكرسي:

فمن المستحبات أن يقرأ الإنسان قبل نومه المعوذتين يعني سورة الفلق والناس وآية الكرسي، كما ورد ذلك عن الإمام الباقر (عليه السلام).

«يستحبّ تسبيح فاطمة (عليها السلام) وقراءة المعوذتين وآية الكرسي».

- قراءة سورة التوحيد:

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من قرأ التوحيد مرة فقد قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن»⁽¹⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «من قرأ قل هو الله أحد حين مضجه، غفر الله له ذنوب خمسين سنة»⁽²⁾.

- ومن آداب النوم:

أن يعرض نفسه على الخلاء.

أن ينام على اليمين.

فهذه بعض آداب ومستحبات النوم.

(1) ميزان الحكمة: 4: 3406.

(2) أمالي الصدوق: 22-3.

إلى هنا نكون قد انتهينا من ذكر نوم الجسد وأن الله (سبحانه وتعالى) في شهره وضيافته يثينا عليه ويجعله لنا بمثابة العبادة الخالصة له والمقبولة عنده.

فحقيقة من هنا نعرف كرم الله عز وجل وفضله علينا ورحمته بنا ومغفرته لنا فهل من متعظ؟.

قلنا: إن النوم تارة يكون جسدياً وآخري روحياً نفسياً وقد ذكرنا نوم الجسد وفصلنا فيه وقلنا إن كثرته مذمومة، وهو على أي حال في شهر الضيافة يُعدّ عبادة بإذن الله⁽¹⁾.

بيد أن نوم النفس ليس فقط مذموماً بل هو أشد من ذلك بكثير وهو على أي حال من الأحوال في شهر الضيافة وفي غيره مرفوض ومكروه ومذموم. بل نرى أن المطلوب في شهر الضيافة هو إيقاظ النفس من بعد نومها وغفلتها ثم تركيتها وتهذيبها وترويضها. وقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»⁽²⁾.

فلعل المراد من النوم هنا: النوم عن الحق، والحق هو الله، والحق هو الموت، والحق هو القبر، والحق هو السؤال والحساب والصراط، والحق هو وعد الله كما رد كل ذلك في بعض الآيات والروايات.

(1) للاطلاع أكثر: الأخلاق والآداب الإسلامية. مكارم الأخلاق، مفاتيح الجنان.

(2) البحار: 4: 43.

فعلينا أن لا ننسى ولا ننام عن الحق وذكره لكي لا ينسانا الحق
ونكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ
أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ (1).

لذا ينبغي علينا أن نستغل ضيافة الله وكرمه لإيقاظ أنفسنا من
الغفلة والنوم فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الغافلون
نيام».

فيا أيها الإنسان لا تغفل ولا تنم عن الحق لأنك كادح إليه
فملاقيه حقاً فهذا أنت في شهر يُعدّ محطة للتزود وفيه النفحات
التي ينبغي التعرض لها وأبواب الجنة مفتوحة وأبواب النار
مغلقة.

فأنت نائم وغافل طوال هذه المدة فانتبه واستيقظ وقم واجتهد
فهذا شهر القيام واليقظة الروحية فالعمل فيه مضاعف ومبارك
فاعجل وأكثر فقد أفلح من أيقظها وزكاها.

فهذا خلاصة الكلام حول النوم وقد اتضح لك أن المطلوب
هو إيقاظ النفس خصوصاً في هذا الشهر واستغلال هذه الضيافة
والكرم الإلهي.

وأما بالنسبة لنوم الجسد فبفضل الله وبركة ضيافته أصبح
عبادة. ومعنى العبادة هنا هي عبادة الله المستحقة والواجبة له.

(1) سورة الحشر: 19 .

فأجر النوم حسب عبادة خالصة لله لا يشوبها شيء من
المفسدات للعبادة أمثال الرياء أو السمعة وما شابه بل هي عبادة
خالصة له ومقبولة عنده. فما أعظم ذلك فعلاً، فمن غير تعب أو
كد أو مشقة ومن دون صلاة أو حج أو عمل واجب ومن دون
خوف من أن تكون هذه الأعمال والعبادات غير صحيحة أو غير
مقبولة يعطينا الله الكريم أجر العبادة أثناء نومنا ونحن في شهره
فهل هناك أكرم من ذلك وأرحم؟

أو هل هناك أفضل وأحسن منه؟

فالتتيحة أن النوم في شهر رمضان عبادة والعايد مأجور وأجره
عند ربه جنات عرضها السموات والأرض فيها ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وعملكم فيه مقبول

الصف الثالث من الأصناف الإلهية المعنوية هو أن الإنسان العامل للخيرات والفاعل للواجبات والمستحبات ففي غير شهر رمضان وإلى غير المائدة الإلهية ليست مضمونة القبول عند الله.

فكثير من الأعمال لا تقبل عند الله سبحانه لنقص في صاحب العمل مثلاً أو لعب في فعله أو لرياء يبطل العمل أو لأسباب عديدة، فترد الأعمال إلى صاحبها. ولا يستفيد هذا الشخص منها غير التعب والإرهاق.

ولدينا مصاديق وأمثلة وحالات كثيرة على ذلك نذكر منها:

1 - الحادثة المعروفة عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عندما سأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: اللهم أشهد إنني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي (عليه السلام) راکعاً فأوماً إليه بخنصره اليمنى وتصدق بخاتمه وهو يصلي حتى نزلت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَرَأَوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (1).

(1) سورة المائدة: 55 .

فتقبل الله صدقة الإمام (عليه السلام) وأنزل فيها آية وبنفس الوقت نرى بعض الصحابة تصدقوا وهم بالصلاة بانتظار نزول شيء في ذلك ولم ينزل قطعاً.

ومحل الشاهد أن الله تقبل صدقة الإمام (عليه السلام) ولم يتقبل صدقة غيره في موقع الحادثة نفسها.

2 - وحادثة قابيل وهابيل وهما ابنا النبي آدم (عليه السلام) لما قربا قربان إلى الله فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل، فدخله من ذلك حسد شديد، فوثب عليه فقتله⁽¹⁾.

فمحل الشاهد أن الله لم يتقبل عمل قابيل وتقبل من هابيل. وهذه الحادثة ذكرت في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾.

3 - وعندما نذرت امرأة عمران ما في بطنها أن يكون خادماً في بيت الله، وبعد الولادة اتضح أنها أنثى وهي السيدة مريم (عليها السلام) ومع هذا قدمتها أمها إلى المعبد وتقبلها ربها بقبول حسن. وتفاصيل القصة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

(1) البحار: 23: 59، قصص الأنبياء: 148 .

(2) سورة المائدة: 27.

أَعْلِمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا نَىٰ لَكَ هَذَا قَالَتُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ (1).

4 - ومصدقا آخر حول الذهاب إلى الحج والذي يعد من العبادات الواجبة والتي يجب أن تكون النية خالصة لوجه الله. ولكن للأسف تجد بعض الناس يذهبون إلى الحج بمقاصد ونوايا عديدة منها قصد التسمية بحيث يطمح أن يقال له الحاج فلان وبعض الأسباب الأخرى لذا ليس كل من ذهب إلى الحج تقبل الله عمله.

لذا ورد في القصة المعروفة في الحج عن الإمام الصادق (عليه السلام) بعدما صعد على جبل فاشرف فنظر إلى الناس فقال (عليه السلام) ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج (2).

5 - وكذلك القصة المعروفة (شهيد الحمار) ذاك الرجل الذي اشترك بإحدى الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمات فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس من باب العبرة والاعتبار أن هذا الرجل موته كان في سبيل غنيمة الحمار وليس دفاعاً عن الإسلام فلم يتقبل الله من عمله.

(1) سورة آل عمران: 35-37.

(2) مستدرک الوسائل: 1: 157.

فهذا بعض ما جاء من وقائع وأحداث حول قبول العمل ورفضه. ولا بأس أن نذكر أن لقبول الأعمال عند الله شروطاً منها:

أن يكون العامل من المتقين كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (1).

فالتقوى سببٌ مهمٌ وأساسي لقبول العمل، وإلا من دونها يكون العامل مصداقاً لهذه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (2).

ومنها:

أن لا يكون العمل فيه رياء أو سمعة وما شابه بل يجب أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى وبنية القربة له، وإلا من أشرك في عمله فقد حبط وفسد وبطل كما ورد التأكيد على ذلك في الروايات:

عن الباقر والصادق (عليهما السلام):

«لو أن عبداً عملاً يطلب به وجه الله والدار الآخرة وادخل فيه رضا أحدٍ من الناس كان مشركاً» (3).

(1) سورة المائدة: 27 .

(2) سورة النور: 39 .

(3) الوسائل: 1: 67.

والشرك حرام ولازم الحرمة بطلان العمل قطعاً.

وفي الحديث الصحيح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«يؤمر برجال إلى النار... فيقول لهم خازن النار: يا أشقياء ما كان حالكم؟ قالوا: كنا نعمل لغير الله، فقبل لنا: خذوا ثوابكم ممن عملتم له»⁽¹⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «اتقوا الله في الرياء فإنه الشرك بالله. إن المرائي يُدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر، حبط عملك وبطل اجرک فلا خلاص لك اليوم فالتمس اجرک ممن كنت تعمل له»⁽²⁾.

فالنتيجة ليس كل ما يعمله الإنسان مقبولاً عند الله تعالى بل كما بينا أن هناك كثير من الأعمال لا تقبل عند الله.

وأما بخصوص شهر رمضان فإذا كان الإنسان من المتقين والمطعين والورعين فيه وكان واجداً لشروط الضيافة فله ضمان أكيد لقبول أعماله وإلا كان مصداقاً لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش»⁽³⁾.

(1) ميزان الحكمة: 2: 1019 .

(2) الوسائل: 1: 69 .

(3) ميزان الحكمة: 2: 1686 .

لأن للصوم ولقبوله شروطاً كما مر معنا، فلا يظن أحد منّا إذا امتنع عن المفطرات بما فيها الأكل والشرب تقبل الله منه وعدّ من الصائمين، فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) أنه بعدما «سمع امرأة تسبّ جارية لها وهي صائمة، دعا لها بطعام وقال لها: كلي. فقالت: إنّي صائمة. فقال لها صلى الله عليه وآله وسلم كيف تكونين صائمة وقد سببتِ جارتك؟! إنّ الصوم ليس من الطعام والشرب فقط»⁽¹⁾.

فمحصل البحث أن العمل في شهر رمضان يكون مقبولاً عند الله بضمانة ضيافته لنا على مائدته وبشرط الطاعة له والورع عن محارمه. فنسأل الله أن يتقبل منّا أعمالنا بأحسن القبول والحمد لله رب العالمين.

(1) الكافي: 4: 87.

ودعاؤكم فيه مستجاب

وختامها مسك، فالأطعمة المعنوية على المائدة الرمضانية مسك، ومنه الدعاء في شهر الله فهو غير محجوب أو ممنوع الوصول إلى الله بل في شهر الضيافة لا يوجد شيء - مع الالتزام بشرائط الدعوة - يمنع الإنسان من إيصال دعواته إلى ربه وعرض حاجاته عليه سبحانه. وهو جلّ وعلا وعدنا - ووعدنا صدق وقوله حقّ - بأن يستجيب الدعوات في هذا الشهر المبارك وهذا من بركات مائدة الرحمن، فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال:

«لما كان أوّل ليلة من شهر رمضان قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حامداً لله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس قد كفاكم الله عدوكم من الجن. ووعدكم الإجابة. وقال: (ادعوني استجب لكم) ألا وقد وكلّ الله سبحانه لكلّ شيطان مريد سبعة من الملائكة، فليس بمحلّول حتى ينقضي شهر رمضان. ألا وأبواب السماء مفتّحة من أوّل ليلة منه إلى آخر ليلة منه. ألا وإنّ الدعاء فيه مقبول»⁽¹⁾.

فلا بأس أن نتحدث عن الدعاء وأهميته وفوائده طالما كان الحديث عنه. فالدعاء هو الطلب من الداني إلى العالي، وهو

(1) البحار: 93: 372.

طلب الإنسان من ربه. وللدعاء أهمية كبيرة فلا يُظن أن الدعاء هو للحوائج فقط بل للدعاء آثار وأهمية كبيرة وكثيرة نذكر منها:

- الدعاء عبادة:

كما جاء في الحديث: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) «الدعاء منجّ العبادة»⁽¹⁾.

وجاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾⁽²⁾.

فدخول النار لا يكون إلا للعاصي ولتارك العبادة ومنها الدعاء.

- الدعاء سلاح المؤمن:

كما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «الدعاء سلاح المؤمن»⁽³⁾.

- الدعاء يربي النفوس:

كما جاء في الصحيفة السجّادية عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «اللهم إني استغفرك لكل نذرته، وكل وعد وعده، وكل عهد عاهدته، ثم لم أف به، وأسألك في حمل مظالم العباد عني

(1) الوسائل: 7: 28.

(2) سورة غافر: 60.

(3) الكافي: 2: 468.

فإيما عبدٍ من عبيدك أو أمةٍ من إِماتك كانت له قبلي مظلمة ظلمته إياه في نفسه أو في عرضه أو في ماله أو في أهله وولده أو غيبة اغتبت به» (1).

فنأخذ الدروس الأخلاقية من هذا الدعاء على أن لا نظلم ولا نغتاب، ولا ننكس العهد...

- للدعاء فوائد علمية:

كما عرفنا من خلال تسيّحات الإمام زين العابدين عليه السلام أن للظلمة والنور وزناً، «سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور...».

- للدعاء فوائد عقائدية:

حيث جاء في بعض الأدعية عن التوحيد والعدل والنبوة:

«لا إله إلا الله إلهاً واحداً»

«أشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله عبدك ورسولك».

على العموم فإن هذه بعض من فوائد الدعاء.

أما شروط الدعاء فنذكر منها:

- الصلاة على محمد وآل محمد:

أن يبدأ الداعي بالبسملة ثم الصلاة على محمد وآل محمد، وأن يختم بها، فجاء في الحديث عن الإمام جعفر الصادق (عليه

(1) انظر: الصحيفة السجادية .

السلام): «إذا دعا أحدكم فليبدأ بالصلاة على محمد وآل محمد يقول أفعل بي كذا وكذا فإن العبد إذا قال اللهم صل على محمد وآل محمد استجاب له»⁽¹⁾.

- الإقبال بالقلب وتيقن الإجابة:

فجاء عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم تيقن الإجابة»⁽²⁾.

- التوسل بمحمد وآل محمد:

التوسل بمحمد وآل محمد (عليهم السلام) كوسيلة إلى الله كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽³⁾.

وفي آية اخرى قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾⁽⁴⁾.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام):

«نحن والله الوسيلة، نحن والله الأسماء الحسنی الذي لا يقبل من أحدٍ إلا بمعرفتنا قال فادعوه بها»⁽⁵⁾.

(1) مستدرک الوسائل: 5: 225.

(2) الكافي: 2: 4722.

(3) سورة المائدة: 35.

(4) سورة الاعراف: 180 .

(5) البحار: 91: 6 .

أقول: كما أن للدعاء شروطاً كذلك للدعاء أماكن وأزمنة يستجاب فيها كما إذا كان الإنسان واقفاً في عرفات أو كان يدعو من تحت قبة سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) فقد ورد أن الدعاء تحت قبته مستجابٌ وكذلك لو دعا الإنسان في ليلة الجمعة أو في شهر رمضان - فلو كان في الدعاء خير ومصلحة للداعي - لاستجاب الله له ولو بعد حين وإذا تأخرت أو ابطأت الإجابة لعل الذي أبطأها هو خير للداعي لعلم الله بعاقبة الأمور.

نسأل الله أن يستجيب دعواتكم في شهره وفي كل حين. ولا تنسونا في صالح دعواتكم وعند مظان الإجابة فأنا المحتاج إلى دعاء اخوانه المؤمنين في كل حين والسلام على آل يس.

فاسألوا الله ربكم بنياتٍ صادقة وقلوب طاهرة

بعدهما انتهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) من العرض السريع لمائدة الضيافة الربانية وسبل التكريم فيها استرسل في خطبته مخاطباً ضيوف الرحمن بأن يتوجهوا إلى الله ربهم ومدبرهم ويدعوه ويسألوه ويطلبوا منه بنية صادقة، ومعناها: انبعث القلب نحو الطاعة غير ملحوظ فيه شيء سوى وجه الله سبحانه.

والنية هي أساس وشرط لقبول العمل. فالعمل إذا لم ينويه فاعله التقرب إلى الله تعالى فهو ليس بعملٍ صادقٍ منبثق نحو الطاعة.

فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى»⁽¹⁾.

لذا فإن نية المؤمن خير من عمله كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «النية أفضل من العمل، ألا إن النية هي العمل»⁽²⁾.

ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْمُرُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾⁽³⁾.

(1) الوسائل: 1: 48.

(2) الكافي: 2: 16.

(3) سورة الإسراء: 84.

يعني على نيته، فكل عامل يعمل على نيته، وأوضح (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) أن الذي لا يقصد وينوي الفعل في قلبه بل يأتي به فقط بلسانه فهو ليس بشيء أصلاً، لذلك قال (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «وقلوب طاهرة»⁽¹⁾. فهو (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) يؤكد على طهارة القلب لأن أقل شائبة تشوبه من رياء أو سمعة أو عجب تبطل العمل، لذا لا بد وأن يكون الإخلاص والقربة والنية الصادقة مع القلب الطاهر في العمل.

إذا على الإنسان وخصوصاً وهو في شهر الرحمن أن يحسن نيته ويتوجه إلى ربه بنية صادقة وقلب طاهر مخلص لكي يكون العمل فعالاً ومقبولاً ليس كما يفعل ويدعو بعض الناس حيث يدعوك إلى بيته بلسانه فقط ككلمة هو قائلها من دون نية وقصد حقيقي وكذلك إذا قلت لبعض الناس نسألك الدعاء يقول إن شاء الله ولا يدعو أو قد يلفظ كلمات من دون نية ولا قصد بل من باب المجاملة فهذا قطعاً لا يكون فيه نية صادقة ولا قصد أبداً فلا ينفع هذا العمل أو الدعاء بشيء بل على الإنسان أن يتوجه ويسأل ويدعو الله بنية صادقة وقصد حقيقي وقلب طاهر يتيقن الإجابة. ومن هنا نستغل الفرصة لننقل لكم بعض ما جاء من الروايات حول النية الصادقة وطهارة القلب:

(1) البحار: 1: 153 .

فعن الإمام الكاظم (عليه السلام):

«كما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحية، فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنية الصادقة، ولا تثبت النية الصادقة إلا بالعقل»⁽¹⁾.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«أفضل الأعمال النية الصادقة»⁽²⁾.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«صلاح العمل بصلاح النية»⁽³⁾.

هذا بالنسبة للنية الصادقة أما خبث النية فقد ورد فيها:

عن الإمام علي (عليه السلام):

«سوء النية داء دفين، إياك وخبث الطوية، وإفساد النية، رب عمل أفسدته النية، عند فساد النية ترتفع البركة»⁽⁴⁾.

اللهم اجعل نيتنا خالصة لوجهك الكريم آمين يا رب العالمين.

السؤال والدعاء والطلب من الله (عز وجل) بالنية الصادقة والقلب الطاهر للتوفيق لصيام شهر رمضان.

(1) ميزان الحكمة: 4: 342.

(2) نفس المصدر.

(3) نفس المصدر.

(4) ميزان الحكمة: 4: 3606.

ومعنى التوفيق الإلهي كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام):
«إذا فعل العبد ما أمره الله عز وجل به من الطاعة كان فعله وفقاً
لأمر الله عز وجل، وسمي العبد به موفقاً»⁽¹⁾.

وعن الإمام علي (عليه السلام):

«التوفيق عناية الرحمن، من أمده التوفيق أحسن العمل»⁽²⁾.

أن يوفقكم لصيامه

فيكون الدعاء والسؤال من أجل أن يعيننا الله عز وجل ويسر
لنا ويوفقنا لطاعته وعبادته المخصوصة هنا بصيام شهر رمضان.
وبالصيام يكون التوفيق. وبيان معنى الصوم هو الإمساك عن
المفطرات المقررة شرعاً من الفجر إلى الغروب مع نية القربة إلى
الله.

ومما لا شك فيه أن الصيام عبادة بل هو من أزكى العبادات
وأقواها في تنقية النفس البشرية، وقد ورد في الصوم وفضله
وثوابه وآثاره عدة آيات وروايات منها:

(1) معاني الأخبار: 1 صفحته: 21 .

(2) غرر الحكم .

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفِثِ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (2).

والحديث القدسي المشهور: «الصوم لي وأنا أجزي به» (3).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«إن للجنة باباً يُدعى الريان لا يدخل منه إلا الصائمون» (4).

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «الصيام جنة العبد المؤمن يوم القيامة كما يقي أحدكم سلاحه في الدنيا، ولخلق فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. الصائم يفرح بفرحتين حين يفطر فيطعم، وحين يلقى الله» (5).

(1) سورة البقرة: 183 .

(2) سورة البقرة: 187 .

(3) مستدرک الوسائل : 7 : 498 .

(4) الوسائل : 10 : 404 .

(5) الكافي : 4 : 65 .

واعلموا جيداً أن للصوم مراتب ثلاثاً:

1 - صوم العوام:

يتمثل صوم العوام باجتنب مفطرات الصيام والإمساك عنها، كالأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات المذكورة بكتب الفقهاء.

وهذه المرتبة من الصوم تعدّ أيسر مراتبه وأدناها.

وقد ورد حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) يشير إلى هذه المرتبة من الصيام: «إن أيسر ما افترض الله تعالى على الصائم في صيامه، ترك الطعام والشراب»⁽¹⁾.

2 - صوم الخواص:

في صوم الخواص لا يقتصر الصائم في صومه على الإمساك عن مفطرات الصيام، إنّما يتجنّب كلّ المحرّمات الإلهية ويمتنع عنها أيضاً.

وبذلك يصبح الإمساك عن المفطرات شرط صحّة الصيام، أمّا اجتناب المحرّمات فهو شرط قبوله.

ومن هذا المنطلق تعدّ الروايات التي تتصف بشروط وآداب الصوم إشارة إلى هذه المرتبة من الصوم.

(1) الوسائل: 10: 164.

3 - صوم خواصّ الخواصّ:

يتمثل هذا الصوم بكفّ القلب وتحصينه عن كلّ ما يشغله سوى الله سبحانه، حلالاً كان الشاغل أم حراماً.

وهناك كلمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) تشير إلى المراتب الثلاثة للصوم:

«صوم القلب خير من صيام اللسان وصيام اللسان خير من صيام البطن»⁽¹⁾.

- علة تشريع الصوم:

اعلم أن الصوم من الأركان الخمسة الأساسية في الإسلام وهناك علة ومصلحة من تشريعه، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) بعدما سأله هشام بن الحكم عن علة الصيام فقال (عليه السلام):

«إنما فرض الله الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك إنّ الغني لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير، لأن الغني كلما أراد شيئاً قدر عليه فأراد الله (تعالى) أن يسوي بين خلقه وان يذيق الغني مسّ الجوع والألم ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع»⁽²⁾.

وفي حديث آخر ذكر في جواب بعض المسائل التي كتبها محمد ابن سنان إلى الإمام علي الرضا (عليه السلام) فكتب (عليه السلام):

(1) غرر الحكم.

(2) من لا يحضره الفقيه: 2: 73.

«علة الصوم لعرفان مسّ الجوع والعطش ليكون العبد ذليلاً مسكيناً مأجوراً محتسباً صابراً ويكون ذلك دليلاً على شدائد الآخرة مع ما فيه من الانكسار له عن الشهوات واعظاً له في العاجل دليلاً على الآجل ليعلم شدة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة في الدنيا والآخرة»⁽¹⁾.

فهذه بعض التعليقات التي وردت في أخبار الأئمة (عليهم السلام).

- فوائد الصوم:

لا يخفى عليكم أن الشريعة المحمدية لها في كل تشريع فائدة ومصلحة فيه للمكلف ومن هذه التشريعات الصوم فإن له فوائد روحية وجسدية وصحية واجتماعية، وفي الجملة أن للصوم فوائد وآثاراً دنيوية وأخروية نذكر منها:

فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«صوموا تصحّوا»⁽²⁾.

صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) فقد ثبت عند الأطباء:

أنّ سبب كثرة الأمراض في الغرب أكثر من الشرق والمسلمين، هو أنّ في الإنسان خلايا وهذه الخلايا مضرّة يجب أن تتبدّل في

(1) نفس المصدر .

(2) مستدرک الوسائل : 7 : 502.

كل سبع سنوات مرة، وطريقة قتلها هو الصوم 30 يوم لا أكثر ولا أقل، وإلا فإنها تبقى في البدن فتولد أمراض للجسد.

يقول الدكتور (كارلو): لقد جاء التأكيد على الصوم في كل الأديان، فالصوم وإن كان مقروناً بالجوع والضعف، إلا أنه ينطوي ويحتوي على فوائد كثيرة لجسم الإنسان، ترى إن بعض الأجهزة بسبب الصوم تعود إليها حالة النشاط والتعادل وبهذا يسلم الإنسان من الابتلاء بأمراض كثيرة.

ثم يتحدّث (كارلوا) عن الإسلام بقوله: «الإسلام يعتبر أحكم حيث فرض الصيام لفرض الصحة، وإن محمداً الذي جاء بهذا الدين كان خير طبيب وفق في إرادته وعمله حيث كان يأمر بالوقاية قبل المرض».

طبيب آخر اسمه (بوخنكرمي) يقول: خمسون سنة مضت على تأسيس مستشفى في الغرب دواءها كان الصوم للمرضى والنتيجة أن خمسين ألف مريض شفوا من المرض بسبب الصوم.

ويقول الدكتور (أدليخ): الشيء الوحيد الذي بواسطته يمكن القضاء على مرض السرطان بصورة جذرية هو تحمّل الجوع حتى الإشراف على الموت وعندها تتمكن أن نقضي على السرطان، ومن هنا نعرف الأثر العظيم بالنسبة للصوم.

- الصوم وقاية وعلاج من بعض الأمراض:

إنَّ علم الطب الحديث اكتشف لنا حقائق كثيرة من الصيام تزيد بحكمة الخالق تعالى، فإن الصوم يطيل من عمر الإنسان، ويقيه من كثير من العلل والأمراض منها:

1 - الصوم يقي من الزوائد والترسبات والخلايا المريضة في الجسم، فالصوم يقوم مقام مشرط الجراح الذي يزيل الخلايا التالفة أو الضعيفة من كل عضو مريض فيعطيه فرصة يسترد خلالها حيويته ونشاطه، وبهذه الطريقة يكون الصوم وقاية للجسم.

2 - الصوم يحمي الإنسان من مرض السكري فهو يقلل كمية السكر في الدم إلى أدنى معدلاتها وهذا يعطي غدة البنكرياس فرصة للراحة.

3 - الصوم يريح المعدة تماماً من الطعام خلال 12 ساعة في اليوم الواحد وكذلك يريح الأمعاء، وبذلك يتخلص الصائم من التجشؤ ومن الغازات وسوء الهضم الناتج عن التخمة.

4 - الصوم يؤدي إلى تقليل نسبة الماء في الدم فتقل نسبته تبعاً لذلك في الجلد وهذا الجفاف النسبي في الجلد يزيد مناعته ومقاومته للميكروبات ويقلل من حدة الالتهابات وأمراض الحساسية.

وهناك فائدة مهمة جداً للصوم ألا وهي التخلص من كل العادات الضارة كالتدخين والمخدرات والخمور حيث تقل كمية النيكوتين أو الكحول في الدم يوماً بعد يوم بحيث أن الجهاز العصبي - الذي كان قد ادمن على وجودها - يتطهر من تأثير هذه المواد وتكون فرصة المدمن للإقلاع عنها خلال شهر رمضان المبارك.

- ومن فوائد الصيام - غير الصحية - أمور:

- تقوية الإرادة وثبات الجأش، حيث إن الصيام يعتبر كفارة لبعض الأخطاء التي يرتكبها المؤمن بسبب ضعف إرادته، مثل الإفطار المتعمد، وشرب الخمر وفعل الزنا.

فإن الصيام أعظم مدرسة للإرادة الصلبة، لأنه يحرم على الصائم ما كان عليه حلالاً، فيحرم عليه الطعام الحلال، والمشروب الحلال، ويمنع عنه الاقتراب من زوجته الحلال. فيصبح الإنسان قوي الإرادة بفضل الصوم.

- ومن آثار الصيام وعطاءاته، أنه يرقق الروح، ويرهف الاحساس، وينمي في الصائم الأحاسيس الإنسانية، فنراه - الصائم - يحدب ويعطف، ويساهم في أعمال البرّ وإعانة الضعيف، والتأثر بمآسي الآخرين وآلامهم لأن الصيام يساعد على منح النفس الصفات الأخلاقية والإنسانية الرفيعة ولهذا تكثر الخيرات وأعمال البرّ عند الصائمين.

- ومن فوائد الصوم، نقاء النفس، وصحة التفكير، وصفاء القلب، لأن المعدة إذا امتلأت، اثقل الجسم وانتشر الكسل

وتلكاً التفكير وبالصوم يزول كل هذا ولا ننسى أن من فوائد الصوم أيضاً صلة الرحم والتزاور واللقاء على موائد الرحمن والأهم من كل ما ذكر من فوائد الصيام شعور الإنسان بالصائم، أنه في ضيافة الله تعالى وأن هذه الضيافة كرامة وبركة ورحمة ومغفرة من الله وأن للصائم الأجر والثواب أقله غفران الذنوب ورجوع الصائم كما ولدته أمه أي بلا ذنب. فضلاً عن أن الملائكة تستغفر له وما له من الفضل كما أكدت ذلك الأخبار.

والشيء الأهم والذي يمكن أن نجعله الأساس في علة وفوائد الصيام رجوع الإنسان إلى حالة التقوى، أي تقوى الله كما شهدت على ذلك الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (1).

ومعنى التقوى: الوقاية، وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن تفسير التقوى فقال (عليه السلام): «أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك» (2).

ومعنى ذلك امتثال أوامر الله تعالى، واجتناب ما نهى عنه.

ونذكر ما ورد في ذكر التقوى في إحدى خطب أمير المؤمنين (عليه السلام):

«إن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعق من كل ملكة،

(1) سورة البقرة: 183 .

(2) البحار: 2: 678.

ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الراهب، وتُنال
الرغائب»⁽¹⁾.

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن التقوى
وأثارها وفوائدها نذكر منها:

1 - التقوى وصية الله تعالى لبني آدم في تمام الكتب السماوية،
كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنكَمَا يَسْرُرْهُ بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾⁽²⁾.

2 - التقوى مورد مدح الله تعالى وثنائه، كما في قوله تعالى:
﴿لَتَبْلُغَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا
وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾⁽³⁾.

3 - التقوى سبب الحفظ والحصانة من كيد الشياطين كما في
قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَى
جَهَنَّمَ وَيَبَسُّ الْمِهَادُ﴾⁽⁴⁾.

4 - التقوى سبب العون والتأييد الإلهي في كل الأمور، كما في
قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾⁽⁵⁾.

(1) نهج البلاغة.

(2) سورة مريم: 97.

(3) سورة آل عمران: 186.

(4) سورة آل عمران: 12.

(5) سورة النحل: 128.

5 - التقوى سبب النجاة والرزق الحلال من حيث لا يتوقع الإنسان، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (1).

6 - بسبب التقوى يطهر الله تعالى عمل العبد من النقص والعيب، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (2).

7 - التقوى سبب محبة الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (3).

8 - التقوى سبب قبول الأعمال، يقول تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (4).

9 - التقوى سبب زيادة العزة والكرامة عند خالق الأكوان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (5).

فهذا قليل من كثير من الآيات التي تذكر التقوى وتأمّر بها وتبين آثارها.

فمن هنا نقول: إن التوجه والسؤال والدعاء إلى الله لأن يوفقنا للصيام لما ذكرناه من فضل وأهمية وفوائد وآثار الصيام على الصائم لذا ورد في الدعاء الإلهي ربح الصائمون.

(1) سورة الطلاق: 2.

(2) سورة الاحزاب: 70.

(3) سورة آل عمران: 76.

(4) سورة المائدة: 27.

(5) سورة الحجرات: 13.

وتلاوة كتابه

عطف السؤال بالتوفيق للصيام وكذلك التوفيق لتلاوة القرآن
فكما نريد ونحتاج التوفيق لصيام شهر رمضان كذلك الحال
بالنسبة لقراءة القرآن ولا يخفى أن شهر رمضان شهر القرآن وربيعه
ومحل نزله كما جاء في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (1).

وقد ورد كثير من الآيات والروايات حول فضل القرآن وفوائده
والحث على قراءته بشكل عام وبشكل خاص في شهر رمضان
المبارك نذكر منها:

حيث أمرنا الله بقراءته كما في قوله تعالى: ﴿فَاقْرَأْ وَهُوَ بِمَا تَسْرِعُونَ
الْقُرْآنَ﴾ (2).

وقال تعالى: ﴿وَرَقِيلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (3).

وأمرنا بفهم معانيه وترتيبه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (4).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُحَدِّثَ رَبَّهُ فَلْيَقْرَأِ الْقُرْآنَ» (5).

(1) سورة البقرة: 185.

(2) سورة المزمل: 20.

(3) سورة المزمل: 4.

(4) سورة النساء: 82.

(5) كنز العمال: 2257.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن»⁽¹⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «عليكم بقراءة القرآن، فإنّ قراءته كفارة للذنوب، وستر في النار، وأمان من العذاب»⁽²⁾.
وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء من المسلمين أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»⁽³⁾.

وعنه (عليه السلام): «ما يمنعُ التاجرٍ منكم المشغول في سوقه- إذا رجع إلى منزله- أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن، فكتتبُ له مكان كل آية يقرؤها عشر حسنات، ويمحو عنه عشر سيئات»⁽⁴⁾.

وعنه (عليه السلام): «عليكم بتلاوة القرآن، فإنّ درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق، فكلّمّا قرأ آية يرقى في درجة»⁽⁵⁾.

(1) ميزان الحكمة: 3: 2524.

(2) الكافي: 2: 573.

(3) الوسائل: 4: 851.

(4) الوسائل: 4: 839.

(5) الأمالي - ص 441.

فهذا بعض ما ورد بالنسبة لقراءة القرآن وهناك أيضاً آيات وروايات تبين لنا أن المراد بل المطلوب هو القراءة التي فيها تفكر وتدبر قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (1).

وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر» (2).

إذا ينبغي لنا أن ندعو الله ليوفقنا لقراءة القرآن في شهر رمضان وغيره من الأشهر كما بينت ذلك الآيات والروايات التي ذكرناها وسوف يأتي معنا ميزة قراءة القرآن في شهر رمضان والأجر والثواب المترتب على قراءة كل آية. اللهم اجعلنا من المتمسكين بالقرآن وبمحمد وآله المعصومين الكرام.

(1) سورة محمد: 24 .

(2) منية المرید: 162، الكافي: 36.

فإنَّ الشَّقِيَّ مِنْ حُرْمِ غَفْرَانَ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ

بعد ما بيّن لنا الضيافة السخية في شهر الله وما فيها من البركة والرحمة والمغفرة، وبعد وفور هذه الكثرة الكثيرة من وسائل الغفران، ومع هذا لم يغتنم المدعو من هذه الفرصة ولم يستغل هذه الأوقات ويستثمرها فإنَّ من حرم من هذه الخيرات في هذه الأوقات ولم يستفد منها لسعادته وتعمير دنياه وآخرته، فمن المؤكد أنه شقيٌّ وهذه نتيجة بديهية لكل من أساء الضيافة الإلهية أو لم يستغلها ويستفيد منها لذا ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «فمن لم يغفر له في رمضان ففي أي شهر يغفر له؟!»⁽¹⁾.

لكن مع هذا نرى سبحانه وتعالى الكريم الذي لا يزيده كثرة العطاء إلاَّ جوداً وكرماً يدعونا مجدداً على ضيافته لحج بيته وللوقوف في عرفات من أجل المغفرة والتوبة والرحمة.

ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام): «علّة الحجّ الوفاة إلى الله وطلب الزيارة، والخروج من كل ما اقتترف، وليكون تائباً مما مضى، مستأنفاً لما يستقبل»⁽²⁾.

(1) ميزان الحكمة: 2: 1118.

(2) عيون اخبار الرضا: 2: 90.

إذاً من لم يستفد ويستغل الضيافة الإلهية الرمضانية، يكون أمامه ضيافة أخرى للمغفرة كما ورد ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«من لم يغفر له في شهر رمضان لم يغفر له إلى قابل إلا أن يشهد عرفة»⁽¹⁾.

لكن السؤال يأتي هنا من يضمن نفسه أن يعيش إلى أن يأتي شهر رمضان من جديد أو من يضمن نفسه أن يعيش ويحضر في عرفات؟! حتى يغفر له. لذا اللبيب هو من يستفيد من الضيافة الإلهية الأولى ويعمل على استغلالها ما أمكنه ويتزود من بركاتها ويتعرض لنفحاته، والله أكرم الأكرمين.

(1) الكافي: 4: 66.

واذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم

القيامة وعطشه

شرع بالوعظ والتنبيه بأنه علة من علل الصيام هو التذكير بمواقف سوف تأتي على الإنسان أثناء سفره من عالم الدنيا إلى البرزخ والحساب والآخرة، وأن لهذه المراحل صعوبات ومشقات كثيرة وعديدة وأقلها الجوع والعطش، لذا ينبغي علينا الاستعداد لها بالعمل الصالح والطاعة والتسليم لرب العالمين فالمؤمن هو الذي لا يغفل عن آخرته ولا تغرّه دنياه أبداً.

ومع هذا يغفل الإنسان عن آخرته ومصيره، لأن من طبيعته أن يتأثر بالمحسوسات أكثر مما يتأثر بالمعقولات، لذا نلاحظ أن الله تعالى أوجد للإنسان منبهات كثيرة في حياته، فهو لا يريد له الغفلة، فإن الصيام من جملة المنبهات التي تمنع الإنسان وتذكره بعد ما ترك الأكل الذي لا يستغني عنه أبداً وكذلك الشرب ليكون ذلك نوع من الأعمال المحسوبة وصورة مصغرة عن مواقف يوم القيامة حيث سوف يستمر جوع وعطش الإنسان شهور وسنين إلى أن يتم الحساب على خمسين مرحلة ويتعرض الناس للخوف والأهوال والعطش والجوع والحرّ بحسب أعمالهم طبعاً، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، فإن في القيامة خمسين موقفاً، كلٌّ موقف مثل ألف سنة مما تعدّون، ثم تلا هذه الآية: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾⁽¹⁾.

فمن هنا جاء الصوم كعلة لتنبيه وتذكير الإنسان، كما ورد ذلك عن الإمام الرضا (عليه السلام):

«إنما أميروا بالصوم لكي يعرفوا ألم الجوع فيستدلوا على فقر الآخرة وليكن الصائم خاشعاً ذليلاً مستكيناً مأجوراً عارفاً صابراً على ما أصابه من الجوع والعطش فيستوجب الثواب مع ما فيه من الإمساك العاجل عن الشهوات ويكون ذلك واعظاً لهم»⁽²⁾.

وأي ثواب وراحة أعظم مما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«إذا كان يوم القيامة تخرج الصُّومُ من قبورهم، يُعرفون بريح صيامهم، أفواههم أطيب من ريح المسك، فيلقون بالموائد والأباريق مختمة بالمسك، فيقال لهم: كلوا فقد جُعتُم، واشربوا فقد عطشتم، ذروا الناس واستريحوا فقد أعييتُم إذ استراح الناس. فيأكلون ويشربون ويستريحون والناس في عناءٍ وظمًا»⁽³⁾.

رحم الله من سمع وقرأ قولنا فاتبع أحسنه، وأعد واستعد لأخرته.

(1) سورة معارج: 4 .

(2) الوسائل: 10: 9 .

(3) الدر المنثور: 1: 442 .

وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم

بعد ما بيّن خصوصيات شهر الله وأهميته وما فيه من البركات والثواب، دعانا إلى أمور عديدة ومهمة لها صلة بالمجتمع الإسلامي مباشرة.

فكما مر معنا بتذكير الصائم بالأم مواقف الآخرة من الجوع والعطش وغيرهما، حثّه على الاعتبار بها في الدنيا فيمد يد المساعدة إلى إخوانه وأخواته ويرفعهم إلى المستوى اللائق بهم في الحياة.

فبهذا قد وقى نفسه من فقر يوم القيام.

فعلة الصيام ليستوي به الفقير والغني بمعنى يحس به فيساعده.

فكانت: زكاة الفطر الواجبة التأدية، كما ورد ذلك عن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من صام ولم يؤدّ الزكاة... فلا صوم له»⁽¹⁾.

ولأجل هذا أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) ضيوف الله بإعطاء الصدقة.

الصدقة لغة: ما تطوّع به الإنسان⁽²⁾.

(1) ميزان الحكمة: 2: 1152.

(2) مجمع البحرين: 2: 597.

الصدقة اصطلاحاً: إعطاء شيء مجاناً بقصد القربة، أو ما أعطى الغير تبرعاً بقصد القربة غير هدية فيدخل فيها الزكاة والكفارات والعطاءات المستحبة.

الإنفاق والبذل في سبيل الله من أعظم ما يهتم بأمره الإسلام سوى كان ذلك إيجاباً أو ندباً عن طريق الزكاة والخمس والكفارات المالية، وأقسام الفدية، والإنفاقات الواجبة، والصدقات المستحبة وهي محل كلامنا هنا حيث نرى كثير من الآيات والروايات تتحدث عنها وعن أهميتها بل تحت عليها، نذكر منها: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الْأَصْدَقَاتِ فَنِعْمَ هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٣﴾.

(1) سورة البقرة: 261-262.

(2) سورة البقرة: 271.

(3) سورة البقرة: 276.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ
الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (2).

وقوله تعالى: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ
صَلَواتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (3).

إلى ما شاء الله من الآيات الكريمة التي تتحدث عن الانفاق
والصدقة ونروي بعض الروايات كذلك:

عن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«عليكم بصدقة السر فإنها تطفى غضب الله عز وجل» (4).

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «داووا مرضاكم
بالصدقة» (5).

إلى ما شاء الله من روايات تتحدث عن الإنفاق والصدقة.

(1) سورة التوبة: 104.

(2) سورة التوبة: 34.

(3) سورة التوبة: 103.

(4) الكافي: 4: 7.

(5) البحار: 10: 99.

- أقسام الصدقة:

كما رأينا في الآيات الكريمة فإن مجال الصدقة والتصدق واسع جداً، بل للصدقة أقسام منها صدقة السرّ وصدقة العلانية، قال تعالى: ﴿إِنْ بُدُوا أَلْصَدَقَاتِ فَنِعِمَّ هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (1).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«صدقة السرّ فإنّها تكفر الخطيئة، وصدقة العلانية تدفع ميتة السوء» (2).

فإنّ الصدقة عندما تكون في السرّ فإن المعطي لا يظهر نفسه لمن يعطيه وذلك لأنّ الذي يأخذ الصدقة يستحي وتظهر على وجهه علامة الخجل ويكون موقفه موقف الذليل المحتاج، وهنا نذكر الإمام زين العابدين (عليه السلام) حيث كان يجعل الطعام على ظهره كلّ ليلة ويسير في شوارع المدينة ليلاً فيتصدق به السرّ.

حتى جاء من الاخبار أنه بعد استشهاد الإمام (عليه السلام) انقطعت عنهم الصدقة فعلموا عندئذٍ أنّها كانت من الإمام زين العابدين (عليه السلام).

(1) سورة البقرة: 271.

(2) تحف العقول: 149.

- الصدقة عبادة:

الصدقة تحتاج إلى نية القربة إلى الله عز وجل، والصدقة تصل إليه مباشرة فيتقبلها، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَالَّذِي هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (1).

وفي الحديث عن الإمام زين العابدين (عليه السلام):

«إن الصدقة أول ما تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل» (2).

- شروط الصدقة:

من الشروط المهمة لإبقاء اثر الصدقة هو عدم الإتيان بعمل يبطلها كالمَنّ على من نتصدق عليه ونأذيه ونعيّره فنقول: نحن فعلنا كذا، وأعطيناه كذا، ونقول له: ألم نعطك؟ ألم نحسن إليك؟ وهذا ما أكدت عليه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (3).

(1) سورة التوبة: 104.

(2) الوسائل: 9: 434.

(3) سورة البقرة: 264.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٦٣) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿١﴾.

فالمطلوب إذن من المؤمنين عدم إبطال صدقاتهم بالمتن والأذى، أو بالرياء والسمعة كما في قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَا يَتَّبِعُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

بحيث يكون الإنفاق والتصدق لأجل أن يحمده الناس، وليس لوجه الله فلا يقبل منه أبداً.

ونذكر ما جاء في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام) بالنسبة لحق الصدقة:

«حق الصدقة أن تعلم أنها ذخرك عند ربك عز وجل.

ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، فإذا علمت ذلك بما استودعه سراً أو ثق بما استودعته علانية وتعلم أنها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا وتدفع عنك النار في الآخرة، ثم لم تمتن بها على أحد لأنها لك.

(1) سورة البقرة: 262-263.

(2) سورة البقرة: 264.

فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى ما مننت بها عليه، لأن في ذلك دليلاً على أنك لم ترد نفسك بها، ولو أردت نفسك بها لم تمنن بها على أحد»⁽¹⁾.

فإذن اتضح معنى أن الصدقة مأمور بها، وفيها أجر عظيم وفائدة للمتصدق والمتصدق عليه. نرجع إلى الأمر بالتصدق من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث أمرنا أن نتصدق على الفقراء والمساكين، كما قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾.

والفقير: هو الذي لا يملك نفقة سنة، فكل من كان موروده أقل من نفقاته اللازمة له ولمن يعولهم فهو فقير شرعاً وبالتالي يستحق الصدقة وهي جائزة عليه.

والمسكين: من لا يملك شيئاً من المال، وهو أسوأ من حالاً من الفقير.

فالدعوة إلى التصدق في شهر الله على الفقراء والمساكين، ونحن الفقراء إلى الله والمساكين فتصدق علينا يا كريم بفك رقبتنا والعتق من النار يا أرحم الراحمين.

(1) شرح رسالة الحقوق: 1: 347 .

(2) سورة النساء: 114 .

ووقروا كباركم

استمر بالإرشاد والأمر والدعوة الاجتماعية لتحسين المجتمع الإسلامي ليكون مجتمعاً أخلاقياً، فأمر بتوقير الكبير، والتوقير: هو الاهتمام والاحترام والتقدير والتعظيم.

والكبير صفة تطلق على من هم فوق الأربعين، وعلى الكبير من حيث الشأن والمنزلة الدينية والاجتماعية.

وقد ورد كثير من الروايات تؤكد الاهتمام والتوقير للكبير نذكر منها:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من عرف فضل شيخ كبير فوقه لسنة، آمنه الله من فزع يوم القيامة»⁽¹⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «البركة مع أكابركم»⁽²⁾.

وعن أنس قال: أوصاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) بخمس خصال، فقال فيها:

«ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة»⁽³⁾.

(1) الوسائل: 12: 99 .

(2) المستدرک للنیشابوری: 1: 620 .

(3) مستدرک الوسائل: 8: 394 .

وقال (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا»⁽¹⁾.

على العموم فالإسلام أمر بإجلال الكبير وتوقيره وتعظيمه في جميع الأحوال والأوقات، بالسلام والاحترام والكلام وحسن المعاشرة والمعاملة والمعاونة والمصادقة والنصرة والمداراة والمحبة وترك كل ما يؤذيه من المخاصمة والمناقشة والتمادي وغيرها من الأمور المنافية لتوقيره.

وكل ذلك لكونه أكبر سنّاً واخفف بدنّاً وأعظم تجربة وأكيس حزمّاً وأقدم إسلاماً وأكثر عبادة وأقرب خروجاً من الدنيا ورجوعاً إلى المولى.

ونختم بذكر حق الكبير، فعن الإمام زين العابدين (عليه السلام):

«وحق الكبير توقيره لسنه، وإجلاله لتقدمه في الإسلام قبلك، وترك مقابله عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق، ولا تتقدمه، ولا تستجهله وإن جهل عليك احتملته وأكرمه لحق الإسلام وحرمته، فإنما هي حق السن بقدر الإسلام...»⁽²⁾.

فبعد كل ما ذكرناه نفهم معنى أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنا بتوقير الكبير.

(1) الكافي: 2: 165.

(2) شرح رسالة الحقوق: 2: 423.

وارحموا صغاركم

بعد الأمر بتوقير الكبير لم ينسَ الأمر بالرحمة والرأفة والاهتمام بالصغير فكما في الإسلام حق ومنزلة للكبير كذلك يوجد حق واهتمام بالصغير، فعن الإمام زين العابدين (عليه السلام):

«وحق الصغير رحمته في تعليمه، والعفو عنه والستر عليه، والرفق به، والمعونة له، والستر على جرائم - الذنب - حادثه فإنه سبب للتوبة، والمداراة له، وترك مماحكته، فإن ذلك أدنى لرشده»⁽¹⁾.

ما أعظم الإسلام فإنه ينادي ويأمر ويهتَم بحقوق الأطفال قبل أي مؤسسة أو منظمة عالمية، فالإسلام جعل تعليم الصغير حقاً له وحث على العفو عنه والرحمة به والشفقة عليه.

والأهم من كل هذا هو تركيز قوة العقيدة والتربية والخُلُق والتنظيم، والحث على محبة أهل البيت (عليهم السلام) والقرآن الكريم وهذا من أهم مصاديق الرحمة بالصغير، فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حُبَّ نبيكم، وحُبَّ أهل بيته، وقراءة القرآن»⁽²⁾.

(1) شرح رسالة الحقوق: 2: 455 .

(2) نهج السعادة: 7: 223 .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«من قبّل ولده كان له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة،
ومن علّمه القرآن دُعي الأبوان فكسبا حُلّتين يضيء من نورهما
وجوه أهل الجنة»⁽¹⁾.

في الجملة هناك أحاديث تحث على تعليم الأولاد القرآن
وأحكام الإسلام وعلوم أهل البيت (عليهم السلام) وتعليمهم
الصلاة وتمارينهم على الصوم وتعليمهم السباحة والرمية وهناك
آداب وسلوكيات ذكرها بل حث عليها الإسلام وجعلها من
المستحبات وكل هذا يدل على مدى العناية والاهتمام بالصغار
وكله من مصاديق الرحمة ومن هنا أمرنا (صلى الله عليه وآله
وصحبه الأخيار): وارحموا صغاركم.

(1) البحار: 7: 304.

وصلوا أرحامكم

بعدها ابتداءً بالدعوة إلى التصديق على الفقراء والمساكين ثم الأمر بتوقير الكبير والرحمة بالصغير ختم هذه الدعوة بالحث على صلة الأرحام وهي من أفضل القربات، فأراد النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) من دعوته هنا أن يكون هناك ترابط قوي ومتين بين الكبير والصغير والعائلة والأمة بحيث يصبح المجتمع مجتمعاً إسلامياً يطبق تعاليم الإسلام على أساس التصديق والتوقير والرحمة، ثم الركن الأهم هو صلة الرحم الذي ورد فيها آيات وروايات وحث أكيد من النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) وآله الأطهار (عليهم السلام) حيث أكدوا على أهمية التواصل بين الأرحام، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (1).

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (2).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله ليصل رحمه أعطاه الله

(1) سورة الرعد: 25 .

(2) سورة النساء: 1 .

عز وجل) أجزّ مائة شهيد وله بكل خطوة أربعون ألف حسنة، ومحا عنه أربعون ألف سيئة، ويرفع له من الدرجات مثل ذلك، وكأنما عبد الله مائة سنة صابراً محتسباً⁽¹⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم ومن كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وإن كان منه على مسيرة سنة فإن ذلك من الدين»⁽²⁾.

والمراد بالرحم الذي يحرم قطعه ويستحب وصله أو يجب، هو مطلق القريب المعروف بالنسب ويقال كل من خرج من نفس رحم المرأة الواحدة. وهذا ما جاء الحث والتأكيد عليه.

وقد يسأل أحدكم كيف أو بماذا نصل أرحامنا؟

جوابه: أن أدنى مرتبة للصلة هو السلام، وهو قد يكون بذهابك شخصياً وتسلم على الرحم، أو بإرسال السلام أو من خلال الهاتف أو الرسالة أو يمكن لك السؤال عن حال وأخبار الرحم أو الدعاء له ومساعدته وجلب المنفعة له أو قد تكون الصلة بعدم أذية الرحم وكله من مصاديق صلة الرحم.

(1) أمالي الصدوق: 516.

(2) المستدرک: 15: 177.

هذا بالنسبة إلى صلة الرحم أما قطع الرحم وهو إيذاء ذوي
اللحمة والقربة، أو عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهية والخيرات
الدنيوية، مع احتياجهم إليه.

فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«أبغض الأعمال إلى الله الشرك بالله، ثم قطيعة الرحم...»⁽¹⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «لا تقطع رحمك
وإن قطعك»⁽²⁾.

وللحديث صلة حيث يبقى الكلام حول آثار وفوائد
صلة الرحم وسوف يأتي الحديث عنها لاحقاً إن شاء الله
في قوله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «من وصل فيه
رحمه...».



(1) الوسائل: 16 : 121 .

(2) المستدرک: 15 : 183 .

واحفظوا ألسنتكم

بعدما انتهى (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) من التنبيه والإرشاد والأمر بالصدقة وتوقير الكبير والرحمة بالصغير وصلة الأرحام وكل ذلك كان عبارة عن سلسلة اجتماعية إسلامية شرع (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) بالتنبيه والإرشاد بعدة أمور لها علاقة بالفرد المسلم، وهي أساسية ومهمة للحفاظ على أخلاقيات وسلوكيات وتصرفات الفرد، وبالتالي المجتمع والأمة الإسلامية.

فأمر بحفظ اللسان.

والحفظ لغة: الصون والحرس. حفظ اللسان بمعنى صونه وحراسته من الشر. فرسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) يأمرنا بصون وحراسة وحفظ اللسان عن الكلام الباطل ولغو الحديث وقول الشر، والأمر بالحفظ هنا لهذه الأمور وللغرض الثاني من استعمال هذه النعمة الإلهية وهي اللسان والذي فيه الخير وفيه الشر فيه جهة صلاح وإصلاح وجهة فساد وإفساد.

ولسان الخير: هو اللسان الذي لا ينطق إلا بالخير وبذكر الله عز وجل وشكره على نعمه الكثيرة والذي يعظ الناس ويحل مشاكلهم ويساهم في إصلاح المجتمع.

ولسان الشر: هو اللسان الذي لا ينطق إلا شراً فلا يذكر الله عز وجل ولا يشكره ويغتاب الناس ويقول الزور ويحاول أن ينشر الفساد والفتنة ويساهم في تدمير المجتمع. ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) كان أبو ذر يقول: «يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر فاختم على لسانك كما تختم على ذهابك»⁽¹⁾.

إذاً فإن اللسان يوصف تارة بالخير وأخرى بالشر حسب حال صاحبه لذا نرى الروايات الكثيرة تحذر من اللسان وكثرة الكلام وضرورة استقامة اللسان وعدم النطق والكلام إلا بعد التأمل والتفكير.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«وهل يكبُّ الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم - قيل له (صلى الله عليه وآله وسلم) - ما النجاة؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: إملاك عليك لسانك»⁽²⁾.

وفي حديث آخر قال (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»⁽³⁾.

(1) الكافي: 2: 114 .

(2) مستدرک الوسائل: 9: 32.

(3) البحار: 68: 287.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):
«من خاف الناس لسانه فهو في النار»⁽¹⁾.

وفي الحديث القدس:

«يا ابن آدم لسانك أسد، إن أطلقته أهلكك، وهلاكك في طرف
لسانك»⁽²⁾.

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تستكفي اللسان أي
تقول: إتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت
اعوججنا».

و«يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح
فيقول يا رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً من الجوارح: فيقال له
خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها الدم
الحرام وانتهب به المال الحرام وانتهك به الفرج الحرام»⁽³⁾.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الكلمات:
«زلة اللسان أنكى من إصابة السنان، كم من إنسان أهلكه
لسان، اللسان ميزان الإنسان»⁽⁴⁾.

(1) ميزان الحكمة: 3: 2377.

(2) ميزان الحكمة: 4: 2778.

(3) ميزان الحكمة: 4: 2778.

(4) غرر الحكم.

فهذه الأحاديث كلها تؤكد لنا دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) لحفظ اللسان وصونه عن الشر والفتنة والغيبة والنميمة والبهتان والكذب واللغو والشتم وقول الزور والسب خصوصاً في شهر رمضان وأثناء الصيام فحفظ اللسان ضروري وتُذكر بالقصة التي وردت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) «عندما سمع امرأة تسبّ جارية لها وهي صائمة. دعا لها بطعام وقال لها: كلي. فقالت: إني صائمة.

فقال (لها صلى الله عليه وآله وسلم): «كيف تكونين صائمة وقد سببت جارتك؟! إن الصوم ليس من الطعام والشراب فقط»⁽¹⁾.

وبنفس الوقت ينبغي لنا أن نطلق اللسان للخير والصلاح والإصلاح والصدق ولذكر الله (عز وجل) ولذكر الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) بالإضافة إلى ما فيه هداية وفائدة للعباد وإلا فالسكوت أفضل، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): "ال لقمآن لابنه: «يا بني إن كنت زعمت أن الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب»⁽²⁾.

(1) الكافي - ج 4 - ص 87 .

(2) ميزان الحكمة - ج 3 - الصفحة 2740.

ولا بأس بذكر بعض الأمور التي ينبغي مراعاتها في الكلام:

1 - لا يتكلم فيما لا يعنيه ويحاول أن يكون كلامه في حال تدخله للإصلاح والتوجيه والإرشاد والنصيحة.

2 - خير الكلام ما قلّ ودلّ فيقتصر منه على قدر حاجته فلا يتكلم بكلمات زائدة عن الحاجة فيضيع الموضوع والهدف من الكلام. ومن كثر كلامه كثرت أثامه وأخطاه.

3 - يترك المجال للآخرين للكلام فذلك من آداب الكلام.

خير ما نختم به هو حق اللسان لمولانا زين العابدين (عليه السلام):

«وأما حق اللسان: فإكرامه عن الخنا، وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبر بالناس وحسن القول فيهم، وصله بالآداب، واجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا، وإعفاءه من الفضول القليلة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها، وبعد شاهد العقل والدليل عليه، وتزيين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه»⁽¹⁾.

نسأل الله أن يجعل لنا لسان صدق في الآخرين، بمحمد وآله المعصومين (عليهم السلام).

(1) شرح رسالة الحقوق: 1: 99.

وَعُضُّوا عَمَّا لَا يَحِلُّ السَّمْعَ إِلَيْهِ أَسْمَاعِكُمْ

الإرشاد والتنبيه الثاني هو أمر الصائم بغض بصره عن المحرمات، يعني كف وكسر النظر إلى ما حرم الله عز وجل لما في النظر إلى الحرام من نتائج تؤدي بالإنسان والأمة إلى سوء العاقبة والفساد وغضب الخالق.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣١﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ جُنُوبِهِنَّ﴾ (1).

فنعمة العينين والبصر حالها حال اللسان قد يستفاد منها بالخير وقد يستفاد منها بالشر وقد ورد كثير من الأحاديث حول ذلك.

عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«فرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه، وأن يعرض عما نهى الله عنه مما لا يحل له» (2).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من ملأ عينه من حرام ملأ عينه يوم القيامة من النار إلا أن يتوب ويرجع» (3).

(1) سورة النور: 30-31.

(2) الكافي: 2: 35.

(3) ميزان الحكمة: 4: 3291.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«لكل عضو حظ من الزنا فالعين زناها النظر»⁽¹⁾.

وعن الإمام علي (عليه السلام):

«العيون طلائع القلوب. وقال: العين بريد القلب. وقال: العين رائد الفتن. وقال: العيون مصائد الشيطان. وقال: إذا أبصر العين الشهوة عمى القلب عن العاقبة»⁽²⁾.

فالنظر إلى ما حرّم الله تعالى حرام، وتركه واجب في كل وقت وخصوصاً في شهر رمضان وإثناء الصيام كما امر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) وأكد عليه الإمام زين العابدين (عليه السلام):

«وأما حق الصوم فأن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك ومزجك وبطنك ليسترك به من النار»⁽³⁾.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من تأمل خلق امرأة حتى تبين له حجم عظامها من وراء ثوبها وهو صائم فقد أفطر»⁽⁴⁾.

(1) ميزان الحكمة: 2: 1161.

(2) غرر الحكم .

(3) رسالة الحقوق.

(4) الوسائل: 10: 129 .

فالنظر الحرام يؤدي إلى ارتكاب الحرام وسوء العاقبة. مقابل
غض النظر الذي يؤدي إلى راحة القلب وصرف وسوسة الشيطان
والأجر والثواب العظيم عند الله عز وجل، قال رسول الله (صلى
الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«ما من مسلم ينظر امرأة أول رمقة ثم يغض بصره إلا أحدث
الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه»⁽¹⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ
تَرَوْنَ الْعَجَائِبَ»⁽²⁾.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«من غَضَّ طرفه أراح قلبه. وقال: من غَضَّ طرفه قلَّ أسفه
وأمن تلفه. وقال: نعم صادف الشهوات غَضَّ الأبصار. وقال: من
عَقَّتْ أطرافه حسنت أوصافه»⁽³⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء او غَمَّضَ بصره لم
يرتد إليه بصره حتى يزوجه الله عز وجل من الحور العين»⁽⁴⁾.

(1) مستدرک الوسائل: 14 : 270.

(2) بحار الأنوار - ج 101 - ص 41 .

(3) ميزان الحكمة - ج 4 - الصفحة 3289.

(4) الوسائل: 20 : 193 .

إلى هنا نكون قد بينا لكم أهمية غضّ النظر فلا بأس أيضاً أن نشير إلى أمور مهمة تساعد على غضّ البصر منها:

1 - تخيل وتذكر الحسرة والندامة في الدنيا والآخرة وافتضح أمره عند أهله والناس.

2 - أن يتأمل الناظر إلى مسألة وهي أنه هل يحب أن ينظر إلى نساءه أمه أو أخته أو ابنته أو زوجته؟ فإذا كان الجواب كلا فليكن ذلك رادعاً له.

والمسألة الأهم والتي لها دور مهم في حماية الفرد والمجتمع والتي تعد اماناً وأماناً بالنسبة للرجل والمرأة، وهي التستر والحجاب عن نظر الاجنبي المحرم. فإن المرأة المسلمة مكلفة بالستر والحجاب بحيث لا تثير الشهوة وتحرك الغرائز وتجلب الانتباه المسموم؛ لذا نرى القرآن الكريم وفي عدة مواضع يأمر بالستر والحجاب بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذَكِّرَ الْبَشَرَ إِنَّ هُدًى اللَّهِ لَهُمْ لَأَكْبَرُ﴾ (2).

(1) سورة النور: 31 .

(2) سورة الأحزاب: 59 .

وقوله تعالى: ﴿يَدْنَسَاءَ التِّي لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (2).

بناءً على ما تقدم يجب على المرأة أن تستر نفسها وتتحجب عن الرجل الأجنبي أمّا كيفية وحدود الستر والحجاب هو: ستر جميع جسدها ما عدا الوجه والكفين، مع ارتداء الثوب الطويل الواسع بحيث لا يلفت الأنظار وأفضل الستر واللباس هو العباءة وأضف إلى ذلك تغطية الوجه للمرأة فهو بالتأكيد عامل مهم ومانع للنظر والفتنة. وهو لباس سيدة نساء العالمين (عليها السلام).

وفي الختام نذكر حق البصر، فعن الإمام زين العابدين (عليه السلام):

«وأما حق البصر فغضّه عما لا يحل لك، وتعتبر بالنظر به، وترك ابتداله إلا لموضع عبرة نتقبل به بصراً أو تستفيد به علماً، فإن البصر باب الاعتبار» (3).

(1) سورة الاحزاب: 32.

(2) سورة الاحزاب: 53.

(3) شرح رسالة الحقوق: 1: 145.

بعد اللسان والبصر يأتي دور الأذن فحالها حال اللسان والبصر تستعمل في حالة الخير والطاعة وللإستفادة وكذلك تستعمل في حالة الشر والمعصية واللغو.

لذا نرى بعض الناس يستغلون هذه النعمة الإلهية بعدة موارد محرمة كالإستماع إلى اللغو من الكلام وهو ما لا يعتدّ به، وأما المؤمنون فلا يسمعون ذلك ويمرون عليه مرور الكرام كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (1).

والمؤمن من يعرض عن كلام اللغو كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَّمْ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (2).

وكذلك يستمعون إلى الغناء وهو الصوت المطرب المتناسب مع مجالس اللهو ومحافل الطرب وقد حرمه الله تعالى بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (3).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«إستماع الغناء واللهو يثبت النفاق في القلب كما يثبت الماء الزرع» (4).

(1) سورة الفرقان: 72.

(2) سورة القصص: 55.

(3) سورة لقمان: 31.

(4) الوسائل: 17: 316.

وقد يستعمل السمع بالاستماع إلى الغيبة أو للتجسس المحرم أو ما شابه فكل ذلك من الموارد المحرمة يجب الاجتناب عنها. ونعلم جيداً أن للسمع وظيفة ومهمة وفرض كما قال الإمام الصادق (عليه السلام):

«وفرض على السمع أن يتنزّه عن الاستماع إلى ما حرّم الله، وأن يعرض عمّا لا يحلّ له مما نهى الله عنه، والإصغاء إلى ما أسخط الله، فقال في ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ⁽²⁾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ⁽³⁾ .

وكذلك للسمع حق كما عن الإمام زين العابدين (عليه السلام):

«وأما حق السمع تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحل سماعه، وتنزيهه أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيراً أو تكسب به خلقاً كريماً، فإنه باب الكلام إلى القلب يؤدي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر»⁽²⁾.

فما تقدم نعرف معنى النهي عن السماع كما لا يحل لنا سماعه وخصوصاً الصائم لذا ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وجلدك»⁽³⁾.

(1) سورة المؤمنون: 1- 3 .

(2) شرح رسالة الحقوق: 1: 123 .

(3) الكافي: 4: 87 .

فأختم البحث أن على المسلم بشكل عام أن ينتبه إلى الخطر الكبير الذي يأتي من اللسان والبصر والاستماع المحرم. وعلى الصائم بشكل خاص أن يعلم أن الصيام لا يفيدُه إلا الجوع والعطش والتعب ما لم تصم جميع الحواس عن الرذائل والخطايا والدنيا.

كما ورد ذلك عن مولاتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام):

«ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه»⁽¹⁾.

ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عن سيئاتنا وتوفنا مع الإبرار.

(1) البحار: 96: 95.

وتحننوا على ايتام الناس كما يتحنن على أيتامكم

ما أعظم الإسلام فإنه لم يترك مسألة صغيرة ولا كبيرة سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي إلا اهتم بها وشجع عليها إذا كان فيها صلاح وفائدة، ومنها ما أمرنا به وحشنا عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) في الدعوة إلى التعاطف والاهتمام والمساعدة والتحنن على اليتيم الذي فقد أباه. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتِيمَانَ فَاتَّوَلَّوْا﴾⁽¹⁾.

والمقصود في هذه الآية أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) الذي فقد أباه لذا وصفه الله عز وجل باليتيم. على أي حال فإن الإسلام اعتنى بالأيتام عناية كبيرة واهتم بهم اهتماماً كبيراً وخصوصاً حتى نزل فيهم آيات كثيرة تزيد على الثلاثين آية تحدث فيها القرآن الكريم عن مختلف شؤون اليتامى، هذا فضلاً على الروايات الكثيرة التي تتحدث عن أهمية وأجر وثواب من اهتم أو كفل أو ساعد أو ربّ يتيماً فضلاً عن عدم جواز أذيتهم وأكل أموالهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾⁽²⁾.

(1) سورة الضحى: 6 .

(2) سورة النساء: 10 .

وقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا آلَ يَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (1).

هذا بعض ما جاء من الآيات بحق الأيتام، وأما الروايات فهي ما شاء الله كثيرة ومتعددة تبين لنا الأجر لمن أدخل الفرحة على قلوب الأيتام، ومدى الثواب لمن أطعم أو شرب يتيماً، ومنزلة الشخص الكافل لليتيم، فنذكر منها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«إن في الجنة داراً يقال لها دار الفرح لا يدخلها إلا من فرح يتامى المؤمنين» (2).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «من قبض يتيماً من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة، إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر» (3).

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله عز وجل - وأشار بالسبابة والوسطى». وعن أبي الدرداء، قال:

«أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل يشكو قسوة قلبه،

(1) سورة النساء: 2.

(2) ميزان الحكمة: 2: 1291.

(3) ميزان الحكمة: 4: 3708.

قال: أتحب أن يلين قلبك وتدرّك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرّك حاجتك»⁽¹⁾.

إلى هنا نكون قد بيّنا بعض ما أمر به الإسلام تجاه اليتيم ومن هنا كان امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) في الخطبة المباركة أن نتحنن على أيتام الناس في عامة الشهور وبخصوص شهر الرحمة حتى يتحنن الناس على أيتامنا في المستقبل على أساس قول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أحسنوا في عقب غيركم تحسنوا في عقبكم»⁽²⁾.

ونختم بوصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لنا:

«الله الله في الأيتام، لا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له بذلك الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار»⁽³⁾.

فبعد كل هذا نقول: طوبى لمن اطعم وشرب وفرح وكفل وتحنن على يتييم في شهر الله وباقي الشهور.

اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه والحمد لله رب العالمين.

(1) مستدرّك الوسائل: 2: 474 .

(2) ميزان الحكمة: 4: 3709 .

(3) البحار: 72: 13 .

وتوبوا إلى الله من ذنوبكم

صار معلوماً أن شهر الله رمضان هو شهر الإنابة والتوبة والمغفرة. وتأكيداً على ذلك ومن أجل الاستفادة منه أكد وحث وأمر رسول الدعوة الإلهية محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) بالرجوع إلى الله والتوبة النصوحة واستغلال المغفرة والعفو الإلهي في شهر الرحمة، ونحن على المائدة والضيافة الإلهية نتوجه إلى الرحمن الرحيم الغفور الكريم بالتوبة، وهي الإنابة والرجوع عن الذنب والمعصية إلى الطاعة والندم والاستغفار. وقد عرّف أمير المؤمنين (عليه السلام) التوبة:

«التوبة ندم بالقلب واستغفار باللسان والقصد على أن لا يعود»⁽¹⁾.

والتوبة واجبة شرعاً وعقلاً لذا يجب على المكلف عندما يذنب سواء أكان الذنب كبيراً أم صغيراً أن يتوب منه لذا جاء الأمر بذلك من خلال آيات الله بقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾.

وفي آية أخرى قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ

(1) تحف العقول: 149.

(2) سورة النور: 31.

بَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ
يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّا كُنَّا
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ .

ومن هنا نعلم أن التوبة باب من أبواب الرحمة الإلهية والتي
فتحتها لعباده رحمة مرأفة بهم. وهذا الباب من الرحمة يدعونا
للدخول به بل الإسراع لذلك خصوصاً في شهر التوبة والرحمة،
هذا ما أمرنا به رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار)
لننال المغفرة والرحمة ونفوز بفضائل التوبة الكثيرة والتي صورها
لنا القرآن الكريم وكلام أهل البيت (عليهم السلام) عبر ذكر هذه
الآيات والروايات:

1 - التائب حبيب الله عز وجل:

قالى تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (2).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام):

«إن الله يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب، كما يفرح أحدكم
بضالة إذا وجدها» (3).

(1) سورة التحريم: 8.

(2) سورة البقرة: 222.

(3) الكافي: 2: 436.

2 - تبديل المعصية إلى حسنة بفضل التوبة:

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (1).

3 - التائبون أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَخْلَقَ مَا يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (2).

4 - للتوبة فضل من إطالة العمر، وسعة العيش:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (3).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«من يموت بالذنوب أكثر ممّن يموت بالأجال» (4).

(1) سورة الفرقان: 70 .

(2) سورة آل عمران: 135-136 .

(3) سورة هود: 3 .

(4) البحار: 70 : 354 .

5 - التوبة تمسح الذنوب:

قالى تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁽¹⁾.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»⁽²⁾.

هذا بعض من فضائل التوبة، وكما عرفت أقلها غفران الذنب، أما بالنسبة لآثار ونتائج الذنب والمعصية، فأقلها دخول النار على صعيد الآخرة، أما على صعيد الدنيا فعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«إنَّ العبد ليذنب الذَّنْبَ فيزول عنه الرزق»⁽³⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ قال: وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به»⁽⁴⁾.

(1) سورة الزمر: 53.

(2) الوسائل: 11-360.

(3) المستدرک: 12: 117.

(4) الكافي: 2: 269.

وعنه (عليه السلام): «إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في الجسم».

فهذه بعض ما ذكرته الروايات حول آثار الذنوب في الدنيا⁽¹⁾.
أما باب التوبة وزمان فتحه تبينه لنا هذه الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال: إن السنة لكثير، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته. ثم قال: إن الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته. ثم قال: إن الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته: ثم قال: إن يوماً لكثير، من تاب قبل أن يُعاین قبل الله توبته»⁽²⁾.

لكنني أقول: من يضمن لنفسه الحياة ولو للحظة؟ حتى نضمن لها التوبة؟ لذا يجب الإسراع إلى التوبة خصوصاً في هذا الشهر الكريم لما فيه من مغفرة ورحمة ورضوان. فمن اراد التوبة فبابها مفتوح وكذلك لها شروط نذكرها كما جاءت.

(1) الكافي: 2: 272.

(2) الكافي - ج 2 - الصفحة 440.

فعن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام):

- 1 - الندم على ما مضى .
- 2 - العزم على ترك العودة إلى الذنب أبداً .
- 3 - أن تؤدِّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملاً ،
ليس عليك تبعه .
- 4 - أن تعمد على كل فريضة عليك ضيعتها تؤدِّي حقها .
- 5 - أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه
بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ لحم جديد .
- 6 - أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية ،
فعند ذلك تقول: (استغفر الله) (1) .

ورواية أخرى:

«ما من عبد أذنب ذنباً فقام فتطهر وصلّى ركعتين واستغفر الله
إلا غفر له، وكان حقاً على الله أن يقبله لأنه سبحانه قال: ﴿وَمَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (2) .

(1) مستدرک الوسائل: 12: 130 .

(2) سورة النساء: 110 .

وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنها
أفضل الساعات، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده
يجيبهم إذا نادوه ويلبيهم إذا ناجوه ويستجيب لهم إذا دعوه

بيان بكيفية الدعاء وأفضل أوقاته وآثار ذلك خصوصاً في شهر الله.

وأما الكيفية، فقد أمرنا رسول الدعوة الإلهية (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) برفع أيدينا بالدعاء وهذا عامل فطري ألا وهو أن يتوجه الإنسان إلى ربه الأعلى والطلب منه. وأما خصوصية الرفع إلى الأعلى فهو اعتبار أن السائل أقل من المسؤول وأن الداعي في الأسفل والمدعو في الأعلى وتشبيه الصورة كما هو حال الإنسان الغريق الذي يرفع يده ليستغيث وليطلب المساعدة فكذلك حال الداعي يرفع يديه إلى ما يناسب مكان الشرف والمساعدة وهو العلو. وهذا لا يعني أن جعل الله تعالى في مكان واحد حاشا وكلا، بل الله لا يجعل ولا يُحصِر بمكان، لأنه ليس بجسم، فالله موجود في كل مكان، في الشرق والغرب، في الشمال والجنوب، في السماء والأرض، كما قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَرَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمَهُ﴾ (1).

(1) سورة البقرة: 115.

ثم بين لنا أفضل أوقات الدعاء ألا وهو أثناء القنوت في الصلوات وأثر وسبب ذلك هو الله سبحانه وتعالى ينظر بعين الرحمة والرأفة والكرم إلى من يناجيه ويناديه ويدعوه في هذا الوقت فيجيبه ويلبيه سواء أكان دعائه بالسر أم العلانية في إخفات أم في جهر فيستجيب له إن شاء الله.

أيها الناس! إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم فكفوها باستغفاركم

النداء هنا لعامة الناس ولكل بني آدم ليستفيدوا من رحمة ومغفرة وبركات هذا الشهر العظيم. (ليجتهدوا لتخليص أنفسهم من حبس أعماله وتصرفاتهم السيئة وحقوق الله عز وجل وعباده بالاستغفار).

وبعبارة أخرى: إن هذه الدعوة موجهة لكل من ارتهنت نفسه، ومعنى الرهن: جعل الشيء محبوساً، وتفسيره: احتباس النفس كوثيقة وضمان ليستوفى الحق الإلهي وغيره.

فبسبب وبركة الاستغفار يمكن لنا تخليص النفس والإفراج عنها وإخراجها من قيد الرهن والاعتقال الإلهي.

مع الإشارة أن الرهن تارة يكون لسبب المعصية الإلهية كترك الإنسان الواجبات وارتكابه للمحرمات وتارة أخرى يكون سببه

انتهاك الإنسان حقوق المخلوقين هذا لا ينفعه بل لا أثر لاستغفاره من دون أداء الحقوق.

أما آثار وفوائد الاستغفار:

فيستفاد من مجموع الآيات والروايات الواردة في الاستغفار أن للاستغفار آثاراً مهمة، نشير فيما يلي إلى بعضها:

1- أن هناك ارتباطاً بين الاستغفار وبين صلاح المجتمع ونزول البركات والحياة الطيبة.

قال تعالى حكاية عن النبي نوح عليه السلام وهو يخاطب قومه:

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَنُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَنْبِيَاءٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ (1).

وقال تعالى حكاية عن النبي هود عليه السلام:

﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (2).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴿٥٢﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٥٣﴾﴾ (3).

(1) سورة نوح: 10-12.

(2) سورة هود: 52.

(3) سورة هود: 3.

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال:
«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من أنعم الله عز وجل
عليه نعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله»⁽¹⁾.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«الاستغفار يزيد في الرزق»⁽²⁾.

2- ومن آثار الاستغفار رفع العذاب عن هذه الأمة، قال تعالى:
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ﴾⁽³⁾.

وعن أبي جعفر محمد الباقر (عليه السلام) قال:

«كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والاستغفار حصنين
حصنين من العذاب، فمضى أكبر الحصنين وبقي الاستغفار،
فأكثروا منه، فإنه ممحات للذنوب»⁽⁴⁾.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام):

«كان في الأرض أمانان من عذاب الله سبحانه، وقد رُفِعَ أحدهما،
فدونكم الآخر فتمسكوا به، أما الامان الذي رفع فهو رسول الله

(1) البحار: 90: 277 .

(2) نفس المصدر.

(3) سورة الأنفال: 33 .

(4) البحار: 90: 279 .

(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأما الأمان الباقي فالاستغفار، قال الله عز قائل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (1).

وأما صيغة الاستغفار فهي عديدة نذكر منها:

«اللهم اغفر لي»

استغفر الله

استغفر الله وأتوب إليه

استغفر الله ربي وأتوب إليه»

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار)

«تعلموا سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأن على عهدك، وأبوء بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» (2).

وبهذا نكون قد وضحنا لكم وبيننا كيفية وفائدة الاستغفار وآثاره وأهمها طهارة الإنسان من الأدناس والارجاس.

أيها الإنسان استغل دعوة وكرم ربك عز وجل في شهر رمضان، وعجل واجتهد لفك وتخليص نفسك، فلمثل هذا فليعمل العاملون ويتنافس المتنافسون.

(1) ميزان الحكمة - ج 3 - الصفحة 2275.

(2) معاني الأخبار: 140.

وظهوركم ثقيلة من أوزاركم

بعد ما ارشدنا إلى كيفية فك أنفسنا من رهن الحقوق الإلهية، استمر (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) بالإرشاد إلى أن الإنسان العاصي والمذنب يحمل معاصيه وذنوبه وآثامه معه إلى القبر ومن ثمّ الحساب والميزان، ومن الطبيعي أن الذنب والآثم إذا كانا أكثر من الطاعة فيكونان وهما السيئة عند عرض اعمال الإنسان على الميزان أنقال من الحسنة والطاعة، وإذا ثقلت موازين الإنسان بالآثام والمعاصي والذنوب فيكون حتماً نتيجة ذلك جهنم - أعاذنا الله وإياكم منها - وأما إذا ثقلت موازين الإنسان بالطاعات والحسنات فيكون حتماً نتيجة ذلك الجنة إن شاء الله.

وبهذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْمُونَ ﴿١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٣﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٢﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿٣﴾﴾.

(1) سورة الاعراف: 8-9 .

(2) سورة المؤمنون: 102 - 103 .

(3) سورة القارة: 6-10 .

فخففوا عنها بطول سجودكم

فعلينا أن نخفف آثامنا وذنوبنا وسيئاتنا من على ظهورنا وميزاننا وكيفية التخفيف أو عامل وسبب من أسباب التخفيف هو ما أشار إليه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار)، أي طول السجود لله.

ولا يخفى عليكم أن السجود يعني الإقرار والعبودية المطلقة لله عز وجل، بحيث يسجد الإنسان بأشرف نقطة فيه وهي الجبين على الأرض طاعة لله وتسليماً له، فيكون بذلك بمتهى العبادة قريباً من الله كما جاء في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام):

«إن أقرب ما يكون العبد من الرب عز وجل وهو ساجد باك»⁽¹⁾.

ولا ننسى أن السجود وتعفير الجبين من علامات المؤمن كما قال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام):

«علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم»⁽²⁾.

وأما من آثار السجود وتطويله ما بيّنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) من حيث إن طول سجود العبد سببٌ لتخفيف آثامه ومغفرة لذنبه، وكذلك أمور أخرى ذكرت في الروايات:

(1) الكافي: 2: 483 .

(2) تهذيب الاحكام: 6: 52.

عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«... عليك بطول السجود فإن ذلك من سنن الأوّابين»⁽¹⁾.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«اطيلوا السجود فما من عمل أشد على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجداً لأنه أمر بالسجود فعصى، وهذا أمر بالسجود فأطاع فيما أمر»⁽²⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«إن العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس يا ويله أطاعوا وعصيت وسجدوا وأبیت»⁽³⁾.

على العموم فإن طول السجود من ديدن الأئمة (عليهم السلام) ومن سنن الأوّابين، ومن أشد الأعمال على إبليس، وأقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد، والسجود منتهى العبادة من بني آدم وإن طول السجود يحط الذنوب، فكيف إذا كان طول السجود في شهر البركة بحيث يحط عنّا آثام وسيئات العمر ببركة الضيافة والمغفرة والرحمة الإلهية.

(1) علل الشرائع: 2: 340 .

(2) نفس المصدر.

(3) الوسائل: 6: 378.

واعلموا أن الله (تعالى ذكره) أقسم بعزته أن لا يعذب

المصلين والساجدين وان لا يروعهم بالنار يوم يقوم

الناس لربِّ العالمين

الهادي يبشرنا بأن فائدة من فوائد الصلاة وأثر من آثارها أن المصلي في جَنَّةٍ ووقاية وحرز من النار، وهو بعيد بل هو في أمان من العذاب الإلهي، وكل ذلك بفضل الصلاة وكذلك لها فوائد وثمرات عديدة:

فإن الصلاة إقرار بالعبودية المطلقة لله تعالى الخالق العظيم الذي ليس كمثلته شيء فعلى المصلي أن يزداد في خشوعه وخضوعه وتذلل أمام الله ويطلب منه العفو والغفران من ذنوبه التي اقترفها في حياته.

وإن الصلاة إذا وقعت صحيحة جامعة للشرائط فإنها تقي الإنسان من المعاصي وتزجره عن المنكر وتوجهه نحو الخير.

وإن تكرار الصلاة في كل يوم من حكمته أن يكون الإنسان على صلة وثيقة ودائمة بخالقه ومدبر شؤونه ومضافاً لهذه الثمرات. فإن الصلاة من أقوى الأسباب التي تمد المجتمع الإنساني بالقوى الروحية، وإن الإنسان إذا لم تتصل روحه بخالقها فإنه تظهر عليه الوحشة والاكئاب والصلاة تتيح له الاتصال بالمبدأ الفياض فتزيل عنه ما ألمَّ به من الهلع والوحشة والاكئاب وتودع

فيه قوة نفسية يستطيع بها أن يقف أمام الاحداث التي يمني بها،
وبعد كل هذا لا يخفى عليكم ما ورد في الروايات بشأن الصلاة:

«الصلاة عمود الدين

الصلاة إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها.

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

الصلاة معراج المؤمن وقربان كل تقي».

فالمحصّل: إذا كان منطوق كلامه (صلى الله عليه وآله وصحبه
الأخيار) أن المصلي لا يعدّب ولا يروّع بالنار بسبب صلاته
فمفهوم كلامه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) أن غير
المصلي يعدّب ويروّع بالنار بسبب عدم أو تركه للصلاة وهذا ما
أكده القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالَُوا لَمْ نَكُ مِنَ
الْمُصَلِّينَ﴾⁽¹⁾.

أعاذنا الله وإياكم من جهنم وسقر وجعلنا من المصلين
والموالين المتمسكين بمحمد وآله المعصومين (عليهم السلام).

(1) سورة المدثر: 42-43 .

أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ فَطَّرَ مِنْكُمْ صَائِماً مُؤْمِناً فِي هَذَا الشَّهْرِ
كَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ (عِزُّ وَجَلُّ) عَتَقَ رَقَبَةً وَمَغْفِرَةً لِمَا
مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ كُلُّنَا يَقْدِرُ
عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ
بِشِقِّ تَمْرَةٍ، اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشُرْبَةِ مِنْ مَاءٍ

شرح (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) في بيان الاعمال
المؤكد استحبابها في شهر الله، وقد يكون أفضل الأعمال المستحبة
فيه إفطار الصائم:

يؤكد السيد ابن طاووس (رحمه الله) بقوله:

«اعلم أن فضل إطعام الطعام معقول فضله بأنوار العقول
المصدقة للأنبياء والمرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين -
وذلك: أن القيام لأهل الصيام بالطعام كأنه تملك لطاعتهم وسلب
منهم لعبادتهم، فإن القوة الموجودة في الأجسام التي تؤثرهم
بإلزام تصير كأنها قوة العبد المطعم لهم التي في جسد مهجته.

فكما أن قوة جسده كلما حصل بها كان معدوداً من عبادته،
فكذا يكون كلما صدر عن القوة بتفطير الصائم تكون مكتوبة
لمن يطعمه في ديوان طاعته»⁽¹⁾.

(1) الاقبال: 1: 37.

وإليكم بعض الروايات التي تؤكد استحباب إفطار الصائم
وتحت عليه:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من فطّر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر
الصائم شيئاً»⁽¹⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «فطرك لأخيك
المسلم وإدخالك السرور عليه أعظم أجراً من صيامك».

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «يا علي! ثلاث
فرحات للمؤمن في الدنيا: لقاء الاخوان، وتفتير الصائم،
والتهجّد من آخر الليل»⁽²⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «من فطّر مؤمناً في
شهر رمضان كان له بذلك عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى،
فإن لم يقدر إلا على مذاقه لبن ففطّر بها صائماً أو شربة من ماء عذب
وتمر لا يقدر على أكثر من ذلك، اعطاه الله هذا الثواب»⁽³⁾.

(1) الوسائل: 10: 140.

(2) البحار: 97: 126.

(3) من لا يحضره الفقيه: 4: 360.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام):

«لأنَّ أفطر رجلاً مؤمناً في بيتي أحب إليَّ من عتق كذا وكذا نسمة من ولد إسماعيل»⁽¹⁾.

وعنه (عليه السلام): «أيُّماً مؤمن فطر مؤمناً ليلة من شهر رمضان كتب الله له بذلك مثل أجر من أعتق نسمة مؤمنة، ومن فطره شهر رمضان كله كتب الله تعالى له بذلك أجر من أعتق ثلاثين نسمة مؤمن، وكان له بذلك عند الله دعوة مستجابة»⁽²⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«من فطر صائماً فله أجره»⁽³⁾.

وعنه (عليه السلام): «من فطر مؤمناً وكل الله به سبعين ملكاً يقدسونه إلى مثل تلك الليلة من قابل»⁽⁴⁾.

وعنه (عليه السلام): «دخل سدير على أبي عليه السلام في شهر رمضان، فقال: يا سدير، هل تدري أي الليالي هذه؟ فقال: نعم، فذاك أبي! هذه ليالي شهر رمضان، فما ذاك؟ فقال له (عليه السلام): أتقدر على أن تعتق في كل ليلة من هذه الليالي عشر

(1) البحار: 96: 316.

(2) نفس المصدر.

(3) نفس المصدر.

(4) الكافي: 4: 68.

رقبات من ولد إسماعيل؟ فقال له: بأبي أنت وأمي! لا يبلغ مالي ذلك. فما زال ينقص حتى بلغ به رقبة واحدة، في كل ذلك يقول: لا أقدر عليه. فقال له (عليه السلام): فما تقدر أن تفطر في كل ليلة رجلاً مسلماً؟ فقال له: بلى عشرة. قال له (عليه السلام): فذاك الذي أردت يا سدير، إفطارك أخاك المسلم يعدل رقبة من ولد إسماعيل»⁽¹⁾.

- كلام من نور:

قال العالم العرفاني الرباني ملكي التبريزي (قدس):

«من مهمات أعمال هذا الشهر إفطار (أي تفطير) الصائمين، وقد سمعت أجز ذلك في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأهم في ذلك أيضاً إخلاص النية التأدب بأدب الله - جل جلاله - وإلا يكون باعته على ذلك إلا تحصيل رضاه، لا إظهار شرف الدنيا ولا شرف الآخرة، ولا التقليد ولا رسوم العادات، ويهتم في تخليص عمله من هذه القصود، ويختبرها ببعض الكواشف، ولا يطمئن من تلبس الهوى والشيطان، ويكون في ذلك مستمداً من الله - جل جلاله - في أصل إفطاره، وفي تعيين من يفطره من المؤمنين، وفيما يفطر به من الطعام، وكيفية معاملته مع ضيفه، فإن ذلك كله تختلف كفياته مع القصود، ويعرف أهل اليقظة

(1) الكافي: 4: 68.

مداخل الشيطان فيها، فيجتنب عما يوافق أمره ويتبع ما يوافق لأمر مولاه ورضا مالك دينه ودنياه، فيفوز بقبوله ومثوباته فوق آماله ومناه.

وهكذا نهتم في إخلاص قصده بقبول دعوة الغير للإفطار ويجتهد في ذلك، وقد ينتفع المخلص من قبول دعوة مؤمن وحضور مجلسه وإفطاره معه بما لا ينتفع غيره من عبادة دهر من الدهور...»⁽¹⁾.

هنيئاً لمن فطر صائماً مؤمناً ولمثل هذا فليتنافس المتنافسون.



(1) المراقبات: 139 .

أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ حَسَّنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خَلَقَهُ

كَانَ لَهُ جَوَازاً عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ تَزُلُ فِيهِ الْأَقْدَامُ

بعد الإشارة إلى استحباب تفطير الصائم أنتقل إلى الاستحباب الثاني ألا وهو تحسين الخلق في هذا الشهر الفضيل وفوائده وآثاره.

وحسن الخلق حالة نفسية تبعث على حسن معاشرته الناس ومجاملتهم بالبشاشة، وطيب القول، ولطف المداراة، كما عرفه الإمام الصادق (عليه السلام) حينما سُئِلَ عن حدِّه فقال (عليه السلام):

«تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببشر حسن»⁽¹⁾.

وكفى حسن الخلق فضلاً أنه يستميل النفوس، ويورث المحبة ويزيد في المودة، ويهدي إلى الفعل الحسن.

والنبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) وأهل بيته (عليه السلام) يمجّدون الخلق الكريم، ويطرون المتحلّين به إطراءً رائعاً، ويحثون على التمسك به بمختلف الأساليب التوجيهية المشوقة، كما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

(1) الكافي: 2: 103.

«إنكم لم تَسْعُوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»⁽¹⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً»⁽²⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»⁽³⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«إن الخلق الحسن يذيب الخطيئة، كما تذيب الشمس الجليد»⁽⁴⁾.

فعلينا أن نعمل جاهدين في هذا الشهر العظيم على تحسين أخلاقنا مع أنفسنا والآخرين ونستمر على ذلك في باقي الشهور.

وقد وضّحنا ثمرة وفوائد حسن الخلق بشكل عام وفوائده وآثاره في الآخرة بينه رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) بأنه يسهل عملية الجواز على الصراط المستقيم الموصل إلى الجنة بعكس سوء الخلق الذي يعسر الجواز على الصراط المستقيم.

(1) الوسائل: 12 : 161 .

(2) البحار: 68 : 374 .

(3) الكافي: 2 : 100 .

(4) البحار: 68 : 395 .

ومن خَفَّفَ في هذا الشهر عما ملكت يمينه

خَفَّفَ اللهُ عليه حسابَه

استحبابات أخرى يحثنا عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) منها التخفيف ولعله عدم التثقل والإهانة والأذية على ما ملكت يدينا.

فمن المستحب الأكيد ان لا يتقل المؤمن وخصوصاً في شهر رمضان على ما ملكت يداه وفائدة ذلك وأجره أن لا يتقل الله عليه حسابَه يوم القيامة.

ومن المطلوب الكفِّ والامتناع والتوقف عن صدور الأذى منّا في شهر الله خصوصاً وفي عامة الشهور عموماً.

فعلى المؤمن الصائم أن لا يكف في صيامه فقط عن الطعام والشراب بل عليه كذلك أن يكف ويمتنع عن مطلق الشرور والمعاصي وقد أشرنا إلى ذلك في مراتب الصوم- صوم العام وصوم الخاص- وسردنا الروايات التي توضح أن الإنسان إذا صام فعليه أن يمتنع عن أمور عديدة، فعليه أن يصوم معه سمعه وبصره ولسانه فلا يصدر منه الشر أبداً، فإذا تحقق ذلك كانت آثاره في الآخرة عظيمة منها أن الله يكف ويمتنع غضبه عنّا يوم القيام وإذا امتنع غضبه عنّا فلنا رحمته وغفرانه ودخلنا بكرمه ولطفه جنانه رزقنا الله جميعاً جنات الخلد بشفاعه محمد وآل محمد (عليهم السلام).

ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه

حُثْنَا (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) في كلامه السابق على التحنن على اليتيم والآن يحثنا على إكرامه بالعطف عليه والرحمة به وإعطائه الحب والحنان وتكفله من إطعام وتعليم وما شابه وكل ذلك يندرج تحت عنوان ومفهوم الإكرام.

وبعبارة أخرى أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) بإكرام اليتيم؛ لأنه بحاجة إلى العطف والعاطفة، إلى الحب والرحمة، إلى العطاء والحنان.

فلا يكفي إشباع جوفه، وإكساء عورته، وتوفير ضرورات حياته فحسب؛ بل هو بحاجة ماسة إلى الكرامة التي كان يجدها عند والديه، تلك الكرامة الإنسانية التي جعلها الله حقاً لكل إنسان، وجعل من وسائل توفيرها ظلال الوالد الرؤوف والأم الحنون. فهذا معنى إكرام اليتيم الذي أمرنا به، وبنفس الوقت قد وبخ القرآن الكريم من لم يكرم اليتيم بقوله تعالى: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾⁽¹⁾.

(1) سورة الفجر: 17.

فمحصل الكلام: من أكرم في شهر الله يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه ما أعظمها من فائدة أيّ نتيجة واثراً لإكرام اليتيم.

أن يكرمنا الله بإكرامه وكرمات الله لنا كثيرة منها كرمته لنا بأصل وجودنا وبإسلامنا وبالهداية وكرامة الله لنا بمحمد وآل محمد (عليهم السلام) وبالمغفرة والتوبة والرحمة وأهمها هنا هو أن يكرمنا الله بحسن العاقبة وبعثت رقابنا وبالثبات على ولاية محمد وآل محمد (عليهم السلام) ويكرمنا الله يوم نلقاه عند الموت والقبر والحساب ويوم القيامة بالمغفرة لنا والرحمة بنا وبالرأفة والتحنن علينا ويقول له لنا: يا من أكرمتهم الأيتام حان الآن موعد إكرامكم فادخلوا في رحمتي ومغفرتي وادخلوا جنتي.

ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه،

ومن قطع فيه رحمه قطع الله رحمته يوم يلقاه

تحدثنا في السابق عن صلة الرحمة الآن نكمل الحديث بعدما صرح رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) بأن من وصل أرحامه في هذا الشهر الفضيل فأجره وثوابه أن يوصله رب العالمين الرحمن الرحيم برحمته التي وسعة كل شيء عندما ينقطع من الدنيا ويُصبح في القبر والحساب والصراف فتكون رحمة ربه معه حتى يلقي الله عز وجل وهو مغفور الذنب فائز بالجنة فيدخلها بلطف الله ورحمته فهذا جزاء من وصل رحمه. أما من قطع رحمه قطع الله عنه رحمته فيصبح القاطع لرحمه من المحرومين من رحمة رب العالمين وإذا انقطعت رحمة الله عنه خصوصاً في القبر والحساب ويوم القيامة فبماذا يدخل الجنة إن لم تشمله رحمة ربه؟

على العموم هناك آثار وفوائد عديدة لصلة الرحم نذكر لكم منها حسبما جاء بالروايات عن آل محمد (عليهم السلام):

1 - زيادة العمر:

يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِنُوفِ الْبِكَالِيِّ:

«يَا نُوفُ صَلِّ رَحِمَكَ يَزِيدُ اللَّهُ فِي عَمْرِكَ»⁽¹⁾.

(1) البحار: 71: 89.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم، حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين، فيكون وصولاً للرحم، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة»⁽¹⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال:

«يا ميسر قد حضر أجلك غير مرة كل ذلك يؤخرك بصلتك رحمك وبرك قرابتك»⁽²⁾.

2 - زيادة الرزق:

يدل عليه قول (النبي صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من سره النساء في الاجل والزيادة في الرزق، فليصل رحمه»⁽³⁾.

وعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «صلة الرحم تنفي الفقر»⁽⁴⁾.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«صلة الرحم مثرة في المال»⁽⁵⁾.

(1) الكافي: 2 : 152.

(2) البحار: 74 : 102 .

(3) الكافي: 2 : 152 .

(4) المستدرک: 7 : 183.

(5) من لا يحضره الفقيه: 1 : 205 .

وعنه (عليه السلام): «صلة الرحم تنمي الأموال»⁽¹⁾.

3 - الاجر والثواب الكبير:

يدل عليه قول النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله ليصل رحمه أعطاه الله عز وجل أجر مائة شهيد وله بكل خطوة أربعون ألف حسنة ويمحو عنه أربعون ألف سيئة ويرفع له من الدرجات مثل ذلك وكأنما عبد الله مائة سنة صابراً محتسباً»⁽²⁾.

4 - يحبه الله عز وجل:

يدل عليه قول النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من ضمن لي واحدة ضمنت له أربعة يصل رحمه فيحبه الله تعالى ويوسع عليه رزقه ويزيد في عمره ويدخله الجنة التي وعده»⁽³⁾.

5 - تخفيف الحساب وتهوينه:

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«صلة الرحم تهوّن الحساب وتقي ميتة السوء»⁽⁴⁾.

(1) من لا يحضره الفقيه: 2:16.

(2) المستدرک: 15: 346 .

(3) البحار: 47: 163 .

(4) الوسائل: 21: 536 .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«إن صلة الرحم والبر ليهوئان الحساب ويعصمان من الذنوب»⁽¹⁾.

6 - تزكي الأعمال:

عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«إن صلة الرحم تزكي الأعمال وتنمي الأموال وتيسر الحساب وتدفع البلوى وتزيد في العمر».

7 - المرور على الصراط يسير:

يدل عليه قول النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«حافتا الصراط يوم القيامة الأمانة والرحم فإذا مرّ الواصل للرحم والمؤدّي للأمانة نفذ إلى الجنة»⁽²⁾.

هذه آثار صلة الرحم فطوبى لمن وصل في الدنيا رحمه.

أما آثار قطع الرحم غير ما صرح به رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) - بأن القاطع لرحمه يقطعه الله من رحمته - يوجد أضرار كثيرة دنيوية وأخراوية من نتيجة قطع الرحم منها:

(1) الكافي: 2: 150.

(2) الوسائل: 19: 68.

1 - عدم دخول الجنة.

يدل عليه قول النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، ومدمن سحر، وقاطع رحم»⁽¹⁾.

2 - تعجيل الفناء:

يدل عليه «سأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الذنوب التي تعجل الفناء؟ فقال قطعية الرحم»⁽²⁾.

3 - نقص العدد:

فعن الإمام الصادق (عليه السلام):
«قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن قطيعة الرحم واليمين الكاذبة لتذران الديار بلاقع من أهلها»⁽³⁾.

4 - اللعنة من الله عز وجل:

يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾⁽⁴⁾.

(1) بحار الأنوار - ج 76 - الصفحة 129.

(2) وسائل الشيعة ج 12 - الصفحة 273.

(3) البحار: 71: 94.

(4) سورة الرعد: 25.

5 - تكون الأموال بيد الأشرار:

عن الإمام الباقر عليه السلام قال قال أمير المؤمنين (عليه السلام):
«إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار»⁽¹⁾.

6 - نقص العمر:

يدل عليه قول الإمام الصادق (عليه السلام):
«... يكون أجله - الإنسان - ثلاثاً وثلاثين سنة فيكون قاطعاً
للرحم فينقصه الله عز وجل ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث
سنين»⁽²⁾.

7 - أبغض الأعمال إلى الله عز وجل:

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«أبغض الأعمال إلى الله الشرك بالله، ثم قطيعة الرحم، ثم الامر
بالمنكر والنهي عن المعروف»⁽³⁾.

(1) الكافي: 2: 348 .

(2) الكافي: 2: 153 .

(3) الوسائل: 16: 131 .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: قال الله عز وجل: أن الرحمن، وهذه الرحم شققن لها أسماء من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»⁽¹⁾.

فهذا نكون قد بينا لكم آثار وفوائد وثواب من وصل رحمه وأضرار وعقاب وآثار من قطع رحمه.

نسألك اللهم أن تجعلنا من الذين يصلون الأرحام ونسألك ان تصلنا برحمتك ولا تحرمنا فضلك وكرمك يا أرحم ويا أكرم الأكرمين بمحمد وآله المعصومين (عليهم السلام).

(1) بحار الأنوار - ج 23 - الصفحة 266 .

ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار،

ومن أدى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين

فريضة فيما سواه من الشهور

بيان لثواب أمرين: الأمر الأول: التطوع بالعمل وهو التبرع بفعله مع عدم فرضه ووجوبه؛ وهذا معنى التطوع بأن يأتي المكلف بعمل ما بطريقة التطوع؛ بحيث يأتيه طوعاً وتبرعاً. وحدّد رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) هذا العمل التطوعي بالصلاة فمن تبرع وتطوع بصلاة مستحبة في شهر رمضان كان ثوابه ونتيجته وآثاره وبركاته من الله (عز وجل) أن يكتب له براءة من نار جهنم؛ أي مانع وبراءة من دخول جهنم - أعاذنا الله منها - يوجد صلوات تطوعية مستحبة مخصوصة في شهر رمضان يمكن مراجعتها في كتاب مفاتيح الجنان في أعمال شهر رمضان، بالإضافة انه يمكن لنا التطوع بصلاة الليل أو صلاة جعفر الطيار، فهذا بالنسبة للأمر الأول وهو العمل التطوعي وثوابه، وأمّا الأمر الثاني وهو العمل المفروض والواجب علينا، فمن أدّى أو قضى في شهر رمضان صلاة كانت مفروضة وواجبة عليه سواء أكانت صلاة يومية - صبح او ظهر - أم صلاة آيات أم ما شابهه فثوابه وأجره مضاعف في شهر الضيافة إلى أن يصل ثواب أداء الفريضة إلى سبعين فريضة في باقي الشهور، وهذا الثواب من بركات شهر الله.

أقول: لعل المقصود بالتطوُّع بالصلاة لا من باب التخصيص والتقيّد بل من باب المثال والمصداق؛ لذا فإن التطوع في شهر رمضان سواء أكان في الصلاة أم بتفطير الصائمين أم كثرة الإنفاق أو التطوُّع بخصلة من خصال الخير، فهو مطلوب ويؤجر عليه المتطوُّع بلا إشكال إن شاء الله. (1)

ومن أكثر فيه من الصلاة علي ثقل الله ميزانه يوم تحف الموازين

هذه الجملة فيها عدة مطالب مهمة جداً:

1 - معنى الصلاة على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

تعرض لمعنى الصلاة العديد من المفسرين، واللغويين، وشرّاح الحديث، وحاصل الجميع: أنها «الدعاء، والثناء، والتبجيل، والتعظيم، والرحمة».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (2).

(1) للاستفادة راجع: كتابنا عليكم بصلاة الليل.

(2) سورة الأحزاب: 56.

2 - كيفية الصلاة على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):

طالما نحن اتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
نمشي على خطه ونتبع سنته ونأتمر بأمره على قاعدة قوله تعالى:
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾⁽¹⁾.

فالسائل يسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار)
كيف الصلاة عليك؟

فقال (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار): «قولوا اللهم صلِّ
على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم...».

إذا ينبغي على المسلمين جميعاً أن لا يكتفوا بقول: «اللهم
صلِّ على محمد» فقط فإنها كما ورد في الحديث صلاة البتراء
مقطوعة منقوصة لا تقبل.

وقد روى ابن حجر العسقلاني في الصواعق المحرقة: 87 عن
النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: الصلاة البتراء فقالوا: وما
الصلاة البتراء؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): تقولون:

اللهم صلِّ على محمد وتمسكون بل قولوا: «اللهم صلِّ على
محمد وآل محمد»⁽²⁾.

(1) سورة الحشر: 7.

(2) راجع مثله: يتابع المودة: 7: 290، تاريخ جرجان: 148، كشف الغمة: 1:
160.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من قال: صلى الله على محمد وآله قال الله جل جلاله: صلى الله عليك فليكثر من ذلك، ومن قال: صلى الله على محمد - ولم يصل على آله لم يجد ريح الجنة وريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام»⁽¹⁾.

3 - ثواب الصلاة على محمد وآل محمد:

بالحقيقة والواقع إذا أردنا الحديث والكتابة عن ثواب وأجر الصلاة على محمد وآل محمد لاحتجنا إلى وقت كثير وكتاب مستقل، لكن نعمل بالقاعدة القائلة: «مالا يدرك كله لا يترك كله».

إليكم بعض ما ورد من فوائد وآثار وأجر وثواب وبركات من خلال الصلاة على محمد وآل محمد:

1 - زيادة الحسنات:

رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) أنه قال: «من صلى عليّ من أمتي مرة واحدة كتبت له عشر حسنات، ومُحيت عنه عشر سيئات»⁽²⁾.

(1) ثواب الأعمال: 45.

(2) ثواب الأعمال: 187.

2 - أنها من أفضل الأعمال:

عن عبد السلام بن نعيم قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام):
إني دخلت البيت فلم يحضرني شيء من الدعاء إلا الصلاة
على النبي وآله: فقال (عليه السلام): «ولم يخرج أحد بأفضل
مما خرجت»⁽¹⁾.

3 - كفارة الذنوب:

روي عن الإمام علي الرضا (عليه السلام): «من لم يقدر على
ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله، فإنها تهدم
الذنوب هدماً»⁽²⁾.

4 - صلاة الله وملائكته عليه وخرج من الظلمات إلى النور:

عن إسحاق بن فروخ قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام):
«يا إسحاق بن فروخ من صلى علي محمد وآل محمد عشراً،
صلى الله عليه وملائكته ألفاً، أما تسمع قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي
يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَحِيمًا﴾»⁽³⁾.

(1) ثواب الأعمال: 44 .

(2) الوسائل: 7 : 200 .

(3) سورة الاحزاب: 43 .

5 - أنها ترفع النفاق:

فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنها تذهب بالنفاق»⁽¹⁾.

6 - تطرد الشياطين:

عن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«إن الشيطان اثنان: شيطان الجن، ويُبعد بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وشيطان الانس ويبعد بالصلاة على النبي وآله»⁽²⁾.

7 - بشر بالجنة:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«من صلّى عليّ ألف مرّة بشر بالجنة قبل موته»⁽³⁾.

8 - موجبة للشفاعة:

عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن رسول (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من أراد التوسل إليّ وأن تكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصلّ على أهل بيتي ويدخل السرور عليهم»⁽⁴⁾.

(1) الوسائل: 7: 200 .

(2) المستدرک: 5: 342 .

(3) ثواب الأعمال: 45 .

(4) الوسائل: 7: 203 .

9 - أنها توجب استجابة الدعاء:

عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

«كل دعاء محجوب عن السماء حتى تصلي على محمد وآله»⁽¹⁾.

10 - توجب قضاء الحوائج:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من عسرت عليه حاجة فليكثر بالصلاة عليَّ فإنها تكشف الهموم والغموم، وتكثر الأرزاق، وتقضي الحوائج»⁽²⁾.

11 - تزيل الفقر وتورث الغنى:

رُوي أن فقيراً شكاً إلى النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) من شدة الفقر، فقال له:

«إن أردت أن يغنيك الله فصلِّ عليَّ وعلى آلي»⁽³⁾.

12 - تورث العافية:

عن النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من صلَّى عليَّ مرة، فتح الله عليه باباً من العافية»⁽⁴⁾.

(1) البحار: 27: 260 .

(2) ثواب الاعمال: 45 .

(3) لثالي الاخبار: 3: 436 .

(4) المستدرک: 5: 333 .

وأخيراً نفهم بأن الصلاة على محمد وآل محمد تثقل الميزان سواء في شهر رمضان أم في غيره، كما ورد ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) «أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاة علي متى أثقل بها حسناته»⁽¹⁾.

فالتيجة أن أثقل ما يوضع في ميزان أعمال الإنسان هو الصلاة على محمد وآله. فأكثرُوا منها خصوصاً في شهر رمضان المبارك.



(1) الوسائل: 7: 195.

ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر

من ختم القرآن في غيره من الشهور

مرّ معنا في الخطبة أن ندعو للتوفيق لتلاوة القرآن الكريم؛ وذكرنا الآيات والروايات التي تحث على تلاوة القرآن، وهنا يكمل الكلام بتبيان أثر وأجر من تلا وقرأ آية واحدة من القرآن الكريم في شهر رمضان كان أثر وأجر تلك القراءة كأجر من ختم القرآن في باقي الشهور؛ بمعنى أنه من خلال بركات هذا الشهر يضاعف العمل والأجر والثواب، فتصبح قراءة آية من القرآن فيه لها أجر وثواب كأنما قرأ وختم القرآن في غير شهر رمضان، فالمعادلة تصبح أن كل آية في شهر رمضان بختمية قرآن.

وقد بيّنا في المبحث السابق ثواب وأجر وفضل وأثر تلاوة القرآن الكريم بشكل عام، وهنا نزيد ونسرد لكم بعض الروايات الخاصة بفضل تلاوة القرآن في شهر رمضان.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من قرأ آية في شهر رمضان أو سبح كان له من الفضل على غيره كفضلي على أمّتي، فطوبى لمن أدرك رمضان»⁽¹⁾.

(1) البحار: 6: 345.

عن علي بن أبي حمزة: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال له أبو بصير: جعلت فداك؟ إقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال: «لا».

قال: ففي ليلتين؟ قال: «لا» قال: ففي ثلاث؟ قال: «ها» - وأشار بيده - ثم قال: «يا أبا محمد، إن لرمضان حقاً وحرمة لا يشبهه شيء من الشهور، وكان أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقل: إن القرآن لا يقرأ - بسرعة- ولكن يرتل ترتيلاً، فإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها وسل الله عز وجل الجنة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار»⁽¹⁾.

فأكثرُوا من تلاوة القرآن فإن (لكل شيء ربيعاً، وربيع القرآن شهر رمضان).

(1) الكافي: 2: 617.

أُيِّها الناس إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة،
فاسألوا ربكم أن لا يغلقها عليكم وأبواب النيران
مغلقة، فاسألوا ربكم أن لا يفتحها عليكم

عاد النداء الإلهي منادياً الناس ومبشرهم على أن أبواب الجنان في شهر الله مفتوحة لهم فينبغي لهم العمل والدعاء لكي لا يغلقهم الله عز وجل عليهم، وكذلك ينبغي الاستفادة من انغلاق أبواب جهنم والعمل والدعاء على أن لا يفتح الله عز وجل عليهم وهنا لا بأس بالوقوف عند امور مهمة في كلام الرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) على أنه يستفاد من كلامه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) ان يوجد عدة جنات وليست جنة واحدة وكذلك لكل جنة باب او للجنات أبواب وللنار أبواب، ولفتح ابواب الجنان هناك عوامل وأعمال خاصة لذلك.

أما أن هناك عدة جنات فهذا صحيح وثابت، وبالنسبة لأبواب الجنان فهي ثمانية كما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«للجنة ثمانية أبواب يفتح الله عز وجل له بصوم كل يوم باب من أبوابها ويقال له: ادخل من أي أبواب الجنان شئت»⁽¹⁾.

(1) الكافي: 2: 630 .

وكذلك عنه (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) عن الله عز وجل:
«يا رضوان افتح ابواب الجنان ومالك اغلق ابواب النيران عن
الصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم»⁽¹⁾.
ويذكر أيضاً ان لأبواب الجنة أسماء منها: الريان باب خاص
للصائمين، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه
الأخيار):

«إن في الجنة باباً يقال: الريان لا يدخل به إلا الصائمين»⁽²⁾.

1 - قراءة آية الكرسي:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«من قرأ آية الكرسي ثمانين مراراً، فتحت له أبواب الجنان»⁽³⁾.

2 - إشباع الجائع:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):
«من أشبع جائعاً في يوم مسغب - مجاعة - أدخله الله يوم
القيامة من باب من أبواب الجنان»⁽⁴⁾.

(1) البحار: 8: 170 .

(2) فضائل: الأشهر الثلاثة: 126 .

(3) البحار: 93: 256 .

(4) المستدرک: 4: 325 .

ومن الأسباب التي يفتح الله بها أبواب الجنان، شهر رمضان والصيام وبعض الأدعية وكل ذلك قد اجتمع في شهر الله؛ لذا أكد وحث على الدعاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) بأن ندعو الله عز وجل ان لا يعلق علينا أبواب رحمته وعفوه وجناته، وان لا يفتح علينا أبواب سخطه وعذابه بحق وليد الكعبة وشهيد المحراب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .

وبالنسبة للنار فإن لها سبعة أبواب كما ورد ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«إن للجنة ثمانية أبواب وللنار سبعة أبواب»⁽¹⁾.



(1) تفسير نور الثقلين: 5: 584.

والشَّيَاطِينِ مَغْلُوبَةً فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا

يَسْلُطَ عَلَيْكُمْ

بعد فتح أبواب الجنان وإغلاق أبواب النيران جاء دور الشيطان والذي هو عبارة عن موجودات غير مرئية من جنس الجن، تتحلَّى بالإدراك والمعرفة وتحظى بالحرية والقدرة على الاختيار، لكنها تسيء استخدام حريتها لإغواء الإنسان وخداعه عن طريق تزويق الممارسات القبيحة وإضفاء صورة جميلة عليها، ومن خلال تهيجه وإثارة نوازعه غير المشروعة.

أما الحكمة من وراء هذا الدور الإغوائي الذي تلعبه الشياطين في نظام الخليقة، فتكمن في تفتق المواهب الإنسانية الكامنة وتربية الإنسان الكامل وإعداده في ظل المقاومة التي يبديها إزاء هذه المزالق والإغراءات، أما ثغور سلطة الشياطين على الإنسان فهي لا تتعدى نطاق الإثارة والوسوسة، ومن ثمَّ فهي تدعوه إلى القبائح، بيد أن قدرتها لا تمتد لإجباره على اقترافها.

على ضوء هذه الإيضاحات، فإنَّ ما ينبغي دراسته على هذا الصعيد، مسألتان: الأولى: تصفيد الشياطين وغلّها في شهر رمضان. الثانية: البحث عن العوامل الكامنة وراء اجتراح الخطايا وظهور الذنوب في هذا الشهر، على الرغم من تصفيد الشياطين وغياب دورها الإغوائي.

1 - علة تصفيد الشياطين في شهر رمضان

تفيد عملية دراسة النصوص الإسلامية وتحليلها، وجود علتين لغل الشياطين ومنعها في شهر رمضان، على النحو الذي تأتي فيه العلة الثانية في طول العلة الأولى. وهاتان العلتان هما:

العلة الأولى: الممانعة الطبيعية للصيام

يُزيل الصوم على نحو طبيعي الأرضية التي تتحرك عليها سلطة الشيطان للتأثير على الإنسان وإغوائه، وبتعبير أدق ليست السلسلة التي تقيد الشيطان وتغله في شهر رمضان سوى الصوم نفسه، ومن هنا ما جاء عن النبي في قوله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَجْرِي مِنْ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيَّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجَوْعِ»⁽¹⁾.

فهذا الحديث يدل بوضوح على أنَّ الصوم يمنع سلطة الشيطان عن الإنسان على نحو طبيعي.

إنَّ السلسلة التي ينطوي عليها الصوم لا تقتصر على تصفيد الشيطان وحده، بل تتخطى ذلك إلى احتواء نوازع النفس الأمارة وإلى أسرها، مما يؤدي إلى ردع سلطتها على الإنسان، وكما قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«نِعَمَ الْعَوْنُ عَلَى أَسْرِ النَّفْسِ وَكَسْرِ عَادَتِهَا التَّجَوُّعُ»⁽²⁾.

(1) المستدرک: 2: 401.

(2) ميزان الحكمة - ج 1 - الصفحة 91.

على هذا الأساس، فإنَّ جميع الروايات التي جاءت تمتدح الجوع وتثني على دوره في بناء النفس وتربيتها، إنّما تهدف بالحقيقة إلى إيجاد المانع الطبيعي الذي يصدّ سلطة الشيطان على الإنسان ويحصنه من نوازع النفس الأمّارة وإغوائتها، كما تهدف أيضاً تحرير قواه العقلية وإطلاق قابليّاته الإنسانية، على ما يبدو ذلك واضحاً من النموذجين الروائيين التاليين اللذين اخترناهما من بين هذا النمط من الروايات: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«جاهدوا أنفسكم بالجُوعِ والعطشِ، فإنَّ الأجرَ في ذلك كأجرِ المُجاهدِ في سبيلِ الله»⁽¹⁾.

العلة الثانية: اللطف الإلهي الخاص

بالإضافة إلى الرصيد الذي يوفره صوم شهر رمضان للصائمين طبيعياً، متمثلاً باحتواء سلطة الشيطان وردع إغوائته عنهم، فإنَّ هذه الممارسة العبادية تتحوّل بنفسها إلى أرضية لانهمار أطفاف الله عليهم وشمولهم بها، وحيثُذ فإنَّ ما جاء في الأحاديث من تصفيد الشياطين، وغلّها في هذا الشهر إنّما هو إشارة لهذا المعنى.

بعبارة أخرى: إنّ اللطف الإلهي ليس جزافاً حتى يصح السؤال: لماذا لم يمنع سبحانه سلطة الشياطين ويحول بينها وبين الإنسان في بقية الشهور؟ كلا! إنّما ينشأ مبدأ التوفيق

(1) المحجة البيضاء: 5 ص: 146.

الرباني والطف الإلهي من واقع اختيار الإنسان نفسه، ودخوله في رحاب الضيافة الرمضانية.

2 - علة عدم الانتفاع من غلّ الشياطين

في إطار التحليل الذي مرّ، فيما يفيد من أنّ الشياطين تفقد سلطتها على الإنسان في هذا الشهر على الأقل بالنسبة إلى الصائمين، ينبثق السؤال الرئيسي الثاني في هذا المضمّر، متمثلاً بما نراه من غفلة الصائمين وابتلائهم بالخطايا والذنوب في هذا الشهر أحياناً، كما يدلّ عليه تشريع الكفّارات الذي جاء لعلاج هذه الحالات، يصوّر السيّد ابن طاووس (رحمه الله) هذه المفارقة، بقوله:

«سألني بعض أهل الدين، فقال: إنني ما يظهر لي زيادة انتفاع بمنع الشياطين، لأنني أرى الحال التي كنت عليها من الغفلة قبل شهر رمضان، كأنّها على حالها ما نقصت بمنع أعوان الشيطان...»⁽¹⁾.

يمكن تقديم جوابين لهذا السؤال، هما:

الجواب الأول: ليس الشيطان السبب الوحيد للذنوب

يتركز الجواب الأول حول معنى يفيد بأنّ ما يصدر عن الإنسان من خطايا وذنوب لا يرتبط بالشيطان وحده ولا ينشأ عن إغوائه وحسب، بل له منشأان رئيسيان آخران، هما: النفس الأمّارة،

(1) الإقبال: 1.

والرين المتراكم من تبعات الذنوب السابقة الذي يؤدي إلى تلوّث القلب واسوداده، والواقع أنّ اللطف الإلهي الذي يكتنف الإنسان في شهر رمضان يلغي تأثير العامل الأوّل المتمثّل بالشیطان، على حين يبقى العاملان المتبقيان يمارسان دورهما، وهما سببان كافيان لتهيئة الأرضية لانحراف الإنسان وتفسير ما يصدر عنه من ذنوب وبقائه على الغفلة.

ولو افترضنا أنّ الصوم قادر على استيعاب نوازع النفس الأمارة والقضاء على دورها في دفعه صوب الخطايا والذنوب، فإنّ الرين المتراكم من الذنوب السابقة يكفي ليؤلف خطراً يهدّد الصائم ويضعه بمعرض الغفلة وارتكاب الذنب.

الجواب الثاني: نسبة تصفيد الشياطين

ما اتضح من التحليل السابق أنّ السلسلة التي تقيّد الشيطان يتألف قوامها من صوم شهر رمضان نفسه وليس من شيء آخر، على هذا فكلما اتّسم الصوم بالإتقان والتكامل، زاد ذلك من إحكام السلسلة التي تغلّ الشيطان وتردع النفس الأمارة، ومن ثمّ أدّى ذلك إلى تضاؤل الغفلة والانحرافات الناجمة عنها.

على هذا الضوء يمكن القول بأنّ من تصدر عنهم الذنوب في شهر رمضان، فإنّ صومهم لم يكن صوماً سالماً.



قال أمير المؤمنين عليه السلام فقلت:

يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟

فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر

الورع عن محارم الله

ينقل لنا الراوي أن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) بعدما عرض وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار) أهمية وفضائل وثواب وآداب هذا الشهر سأله الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) أفضل شيء وأفضل عمل يمكن للإنسان أن يفعله في هذا الشهر الكريم لمرضاة الله ونيل رضوانه ومغفرته وعفوه ورحمته ورضاه فأجابته الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بكلمة وهي «الورع عن محارم الله عز وجل»⁽¹⁾.

ومعنى الورع ترك الذنوب والمعاصي والورع محرك للتقوى والتقوى علة من علل وجوب الصوم كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كِتَابَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽²⁾.

(1) راجع: شهر الله: 45 - 57.

(2) سورة البقرة: 183 .

إِذَا، فالورع هو أفضل أعمال هذا الشهر الكريم، وقد وردت روايات كثيرة تتحدث عن الورع عن محارم الله عز وجل خصوصاً في شهر رمضان المبارك نقل لكم بعضاً منها:

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وصحبه الأخيار):

«من صام شهر رمضان إيماناً واحتساباً، وكَفَّ سمعه وبصره ولسانه عن الناس، قَبَلَ اللهُ صومه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأعطاه ثواب الصابرين»⁽¹⁾.

الإمام علي (عليه السلام):

«الصيام اجتناب المحارم؛ كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب»⁽²⁾.

الإمام الباقر (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لجابر بن عبد الله:

«يا جابر، هذا شهر رمضان؛ من صام نهاره وقام ورداً من ليله وعَفَّ بطنه وفرجه وكَفَّ لسانه، خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر».

فقال جابر: يا رسول الله، ما أحسن هذا الحديث!

(1) وسائل الشيعة ج 10 - الصفحة 164.

(2) بحار الأنوار - ج 933 - الصفحة 294.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا جابر، وما أشدَّ هذه الشروط!»⁽¹⁾.

إلى هنا نكون بحمد من الله سبحانه قد انتهينا من شرح متن الخطبة الشريفة ونختتمها بآداب الخروج من الضيافة الإلهية في شهر رمضان المبارك.

- آداب الخروج من ضيافة الله عز وجل:

للخروج من الضيافة الإلهية آدابه التي تختص به تماماً، كما الدخول إلى دائرة هذه الضيافة الكريمة، وإن رعاية هذه الآداب والالتزام بها يسهم في جبر النواقص التي تكتنف مدة إقامة الإنسان في نطاق هذه الضيافة، ويتلافى ما بدر منه من نقاط ضعف وتقصير، وتوفّر له حظاً أكبر للاستفادة من بركاتها؛ لما يخدم تقوية بنيته المعنوية ورصيده الروحي.

ونذكر لكم بعض الأمور التي ينبغي بها الخروج من آداب الضيافة منها:

1 - الدعاء في آخر ليلة منه، وهناك دعاء الإمام زين العابدين

عليه السلام في وداع الشهر.

2 - الغسل - غسل خاص لآخر ليلة منه.

(1) الكافي - ج 4 - الصفحة 8787.

3 - صلاة خاصة.

4 - زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) .

5- إحياء هذه الليلة بالعبادة والصلاة والدعاء والاستغفار
ونختم شهرنا بزكاة الفطرة وصلاة العيد.

والحمد لله رب العالمين تقبل الله أعمالكم.

نسألكم الدعاء

محمد بن علي الحسيني

www.mohamadelhusseini.net

منشورات الحسيني

المصادر

- 1- القرآن الكريم.
- 2- شهر الله - الشيخ محمد الريشهري.
- 3- الصوم - الشيخ محمد التسخيري.
- 4- فقه الأخلاق - السيد محمد صادق الصدر.
- 5- هدية رمضان - السيد محمد مكي.
- 6- الوسائل - الحر العاملي.
- 7- بحار الأنوار - العلامة المجلسي.
- 8- الكافي - الكليني.
- 9- ميزان الحكمة - الشيخ الريشهري.
- 10- فضائل الأشهر الثلاثة - الشيخ الصدوق.
- 11- مستدرك الوسائل - الميرزا النوري.
- 12- من لا يحضره الفقيه - الصدوق.
- 13- الامالي - للصدوق.

- 14 -الصحيفة السجادية - الإمام زين العابدين عليه السلام .
- 15 -غرر الحكم - عبد الواحد التميمي .
- 16 -حديث رمضان - العلامة السيد حسن الشيرازي .
- 17 -شرح رسالة الحقوق - السيد القبانجي .
- 18 -الأخلاق والآداب الإسلامية .
- 19 -علل الشرائع - الشيخ الصدوق .
- 20 -كنز العمال - علاء الدين الهندي .
- 21 -القاموس المحيط - الفيروزآبادي .

مختصر السيرة الذاتية

العلامة السيد محمد علي الحسيني، سعودي الجنسية، الأمين العام الحالي للمجلس الإسلامي العربي، عضو مجلس أمناء مركز الملك حمد العالمي، وخبير فقهي بمجمع الفقه الإسلامي الدولي، ومستشار في رابطة العالم الإسلامي.

السيد محمد علي الحسيني كاتب ومحاضر ومفكر إسلامي له وزنه وثقله وتأثيره على الساحة الإسلامية والأوروبية والإفريقية، يحظى بالاحترام والتقدير لدى كافة الأوساط الفكرية والأكاديمية والمؤسسات الدينية، خصوصا التي تُعنى بالحوار والتعارف والتفاعل بين الحضارات .

يتميز بمواقفه الفكرية الوسطية المنفتحة ونهجه المعتدل المتسامح.

وللسيد الحسيني اهتمامات وإلمام خاص بالأمور والقضايا الفكرية والمسائل الفقهية المعاصرة، والتركيز على حوار الأديان، والتقارب بين المذاهب، والتصدي لخطاب الكراهية والتطرف.

للسيد الحسيني مشاركات ومحاضرات إعلامية مرئية، فضلا عن الدراسات والبحوث والتحليلات الفكرية المنشورة، والمقالات التي تنشر أسبوعيا في أهم الصحف والمواقع الإلكترونية.

لدى الحسيني أكثر من سبعين كتابا في المواضيع الفكرية والفقهية والأخلاقية والتاريخية وأصول الفقه. ولديه سلسلة معارف المسلم التي تضم كل المعارف العلمية التي يحتاج المسلم إلى معرفتها. وجميع المؤلفات مطبوعة، والبعض منها مترجم إلى اللغتين الإنكليزية والفرنسية.

شارك في عدة مؤتمرات وفعاليات ولقاءات وملتقيات فكرية وفقهية وحقوقية واجتماعية في الدول الإسلامية والأوروبية والإفريقية، وكان له الحضور العلمي المميز فيها، وأبرزها مشاركته المميزة في إعلان مؤتمر وثيقة الأخوة الإنسانية بين شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان، وكذلك حضوره في (حلف الفضول) بمتدى أبوظبي للمسلم، كذا في إعلان مؤتمر وثيقة مكة المكرمة مع رابطة العالم الإسلامي. كما شارك في إعلان رسالة سراييفو للسلام، فضلا عن مشاركاته المتعددة في جلسات حوارية فكرية ودينية في الاتحاد الأوروبي ببروكسل وفي الأمم المتحدة في جنيف.

يسعى سماحته لبناء الأرضية العامة لآرائه ومواقفه وفق رؤية جامعة تستند إلى استيعاب دقيق لمختلف الأديان والمذاهب والثقافات، ساعيا من خلال ذلك إلى إيجاد محاور ومرتكزات التحوار والتقارب ومد الجسور، ليس فقط بين أتباع الأديان والمذاهب، بل الإنسانية قاطبة من أجل نشر ثقافة السلام وسيادة مبدأ التسامح والتعددية وقبول الآخر والتآخي الإنساني.

يُعدّ السيد محمد علي الحسيني من العلماء والمفكرين البارزين في العالم العربي والإسلامي الذين يحظون بالاحترام والتقدير لنشاطاته العلمية، وجهوده الفكرية الداعية إلى نهج الوسطية والاعتدال وتعزيز قيم التسامح ونشر ثقافة السلام وسلوك سبيل الحوار والقبول بالآخر، والانفتاح على الإنسان بنشاط سلمي إنساني فاعل في الدول الإسلامية والأوروبية، فكانت رسالته لنيل شهادة الدكتوراه في هذا الإطار. كما نال الدرجة العالية في شهادة الدكتوراه في الفقه الإسلامي.

بريد إلكتروني:

info@mohamadelhusseini.com

الموقع:

www.mohamadelhusseini.net

هَذَا الْكِتَابُ

استقبل رسول الله شهر الله
بخطبة تستنفر النفوس وتُهَيِّئُهَا
لاستقبال شهر رمضان بما يحمل
من فيوضات ربانية ونفحات
روحية، مبيِّناً عظيم فضله وعميق
أثره وجزيل فوائده.

فكانت هذه الخطبة المباركة
عيناً معيناً يعرف منها العلماء
والمبلغون والصائمون بما تنضوي
عليه من درر شرعية وأخلاقية
 واجتماعية وروحية.

وبما أننا خدام الشريعة
المحمدية، أولينا هذه الخطبة
الشريفة اهتمامنا لبيان شيء من
معانيها وأسرارها وشرحها،
متوكلين على الله تعالى شأنه،
راجين ثوابه، آمليين أن ينتفع بها
عباده.